

الأمامُ الشافعيُّ ومدرسته الفقهية

تأليف
الأستاذ الدكتور علي جمعة
أستاذ أصول الفقه - جامعة الأزهر

ضياء سيرة



منشورات
دار الرسالة
القاهرة



مكتبة جامعة القاهرة

هذا الكتاب من مقتنيات
مكتبة جامعة القاهرة
التي تأسست سنة ١٩٢٢
م تحت إشراف
مكتبة جامعة القاهرة
التي تأسست سنة ١٩٢٢
م تحت إشراف

Exclusive Rights by
Dar al-Iktifa' Egypt - Cairo
The part of this condition may be
translated, distributed in any form or
by any means, or stored in data base
or retrieval system, without the prior
written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٩٧٧ - ١٤٠١ هـ

دار الإكتفاء

الإمام الشافعي

ومدرسته الفقهية



جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية والأدبية والفنية محفوظة
لدار الرسالة القاهرة مصر
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد
الكتاب كاملاً أو مجزئاً أو تسجيله على أشرطة
كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على
اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive Rights by Dar al-resala Egypt - Cairo

No part of this publication may be translated, distributed in any form or by any means, or stored in data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

دار الرسالة - القاهرة

٣٣ شارع الدكتور أحمد محمد إبراهيم ناصية مصر

للطيران - عباس العقاد - مدينة نصر القاهرة

ت: ٢٧٠٣١٤٢

فاكس: ٢٨٧٤٦٩٠

محمول: ٠١٢٣١٢٠٦٤٣

بريد إلكتروني: resnashr@maktoob.com

الإمام الشافعي

ومدرسته الفقهية

تأليف

الأسناذ الدكتور علي جمعة

أسناذ أصول الفقه - جامعة الأزهر



منشورات
دار الرسالة
بازار الرسالة - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

الإمام الشافعي ومدرسته الفقهية

هذه كلمات كاشفة تترجم للإمام الشافعي وتعرف بمدرسته الفقهية وكيف وصلت إلينا، تلقى الضوء على مجتهد من المجتهدين العظام، الذين كان لهم أكبر الأثر في مسيرة الفقه الإسلامى بعامة، والفكر القانونى بخاصة، حتى أصبح الإمام الشافعي ومدرسته علامة فارقة فى تاريخ الفكر وتاريخ العمل معاً، كان رضى الله عنه آية من آيات الله فى كونه وليس على الله بمستغرب أن يجمع العالم فى واحد، فرضى الله عن الإمام وجعله نبزاً يحتذى، وإماماً يقتدى به ومثالاً صالحاً لطلبة العلم فى سعيهم لتحصيله لنفع الناس وإقامة وتوضيح الحجة، وعسى الله أن ينفع بهذه الورقات كثيراً من خلقه.

ولقد قسمت الكتاب إلى بابين، الأول فى ترجمة الإمام والثانى فى مدرسته كما سنرى.

والحمد لله رب العالمين.

أ.د. على جمعة

أستاذ أصول الفقه جامعة الأزهر

الباب الأول

الإمام الشافعي

١ - اسمه ونسبه وأسرته:

هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع
ابن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد
مناف.

فهو هاشمي مطلبى، ابن عم رسول الله ﷺ، وأما أمه فالمشهور
أنها كانت من قبيلة الأزد، وكنيتها: أم حبيبة.
وقيل: أمه هي فاطمة بنت عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي
ابن أبي طالب.

وقد تزوج الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - بالسيدة: حميدة بنت
نافع بن عيينة بن عمرو بن عثمان بن عفان، وذلك بعد وفاة الإمام
مالك سنة ١٧٩هـ، وعمر الشافعي آنذاك تسع وعشرون سنة، كما
أنه كانت له سريرة من الإماء. ورزق من امرأته العثمانية: أبو عثمان
محمد، وهو الأكبر، وكان قاضياً بمدينة حلب. وابنتان: فاطمة وزينب.
كما رزق من سريره بابن آخر يقال له الحسن، مات وهو طفل.

٢ - ميلاده ونشأته:

٢ - ١ - مولده:

ولد - رحمه الله - سنة خمسين ومائة، وهي السنة التي توفى فيها
الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - . وقد ولد - رحمه الله -

بعسقلان وهى من قرى غزة، فنشأ فى إحدى قبائل اليمن المقيمة بفلسطين، ثم سافرت به أمه إلى مكة. وكان منزله بمكة بقرب (شعب الخيف).

٢ - ٢ - دور والدته:

يحكى الإمام الشافعى أن والدته خافت عليه فى اليمن أن يخمل ذكره، ويضيع نسبه، ولا ينشأ على ما ينشأ عليه ضرباؤه من قبيلته قريش، فقالت له: الحق بأهلك فتكون مثلهم فإنى أخاف أن تغلب على نسبك. فقدم مكة وعنده قريباً من عشر سنين أ.هـ. وقد نشأ يتيماً فقيراً فى حجر والدته، حتى أنها لم يكن معها ما تعطى المعلم.

٣ - عصر الشافعى:

٣ - ١ - الحالة السياسية والاجتماعية:

ولد الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - فى أواخر عهد أبى جعفر المنصور العباسى، وتوفى فى أوائل عهد المأمون، وقد شهد العصر الذى عاشه الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - استقراراً سياسياً.

والجدير بالذكر أن العباسيين هم سلالة العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ وقد اشتهرت الدولة العباسية من بين الدول التى عرفها التاريخ الإسلامى بأنها أطول عمراً، حيث استمرت من (١٣٢هـ / ٧٥٠م) إلى (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م).

ويُعد أبو جعفر المنصور هو المؤسس الحقيقى للدولة العباسية نظراً للجهود الضخمة التى بذلها لاستقرار الدولة، وقد تولى الخلافة سنة (١٣٦هـ / ٧٥٤م) بعد أخيه أبى العباس السفاح والذى يعتبر أول خليفة عباسى. وقد قام المنصور بتأسيس مدينة بغداد التى أصبحت العاصمة السياسية للدولة، كما أصبحت أحد المراكز العلمية الرئيسية فى البلاد الإسلامية.

وقد اتجهت الخلافة العباسية منذ قيامها نحو الشرق، وأخذت الكثير من الحضارات الشرقية، وخاصة الفرس، فأصبحت الدولة العباسية تدار مؤسساتها بنفس الطريقة التى كانت تدار بها المؤسسات الفارسية. وكانت الأحوال الداخلية فى هذا العصر تنعم بالاستقرار، كما كانت للدولة الإسلامية فى هذا الوقت من القوة ما جعلها مهابة الجانب. لا تتعرض للغزو أو الاعتداء الخارجى.

ومن أهم المنجزات التى قام بها الخلفاء العباسيون خاصة إبان قوة الدولة العباسية، والتى امتدت إلى سنة (٢٣٢هـ / ٨٤٧م):

١ - تأكيد شرعية الخلافة العباسية، والقضاء على المحاولات التى استهدفت النيل من تلك الخلافة، مما أدى إلى الاستقرار السياسى والاجتماعى والاقتصادى.

٢ - إقامة حكم إسلامى توافرت فيه المساواة بين جميع شعوب الدولة الإسلامية بخلاف الدولة الأموية التى كانت تميز العرب على غيرهم من الشعوب.

٣ - رعاية الدولة العباسية للحضارة الإسلامية العربية رعاية واسعة، وإتاحة كافة الفرص أمام النمو الحضارى.

أما بالنسبة للسياسة الخارجية فى هذا العصر فمن الملاحظ تقلص الفتوحات، وإن كان تأمين حدود الدولة الإسلامية ضد الدولة البيزنطية قد حاز اهتمام الخلفاء العباسيين، حيث قاموا بتأمين الثغور، وإنشاء القلاع، وسلاسل من الحصون المتصلة. وقد أخذت سياسة الدولة العباسية ضد البيزنطيين شكلاً قوياً ومنظماً فى عهد الخليفة الرشيد، حيث كانت الغارات الإسلامية ضدهم تخرج بانتظام وفى أوقات معينة صيفاً وشتاءً، حتى هدد المسلمون العاصمة القسطنطينية، وقد اشتهرت تلك الغارات العباسية باسم (الصوائف والشواتى).

وتمتع هذا العصر بالازدهار الاقتصادى والعلمى والثقافى. وكانت الحركة العلمية فى أوج نشاطها، وقد اتسم هذا العصر بأنه عصر نشأة العلوم الإسلامية، وبداية التصنيف والتأليف فيها، ومثل هذه الفترات تمتاز بالحركة والنشاط الواسع، وحركات النقد المختلفة، وانتشار المناظرات العلمية، والمجالس المختلفة، والحوار بين شتى المدارس والاتجاهات.

٣ - ٢ - الحالة العلمية:

ساعد الاستقرار السياسى والازدهار الاقتصادى على نشاط الحركة العلمية، كما كان الخلفاء وتشجيعهم للعلماء وحبهم للثقافة وراء مزيد من النشاط العلمى والثقافى. ومن الملاحظ أن الخلفاء العباسيين - وخاصة الأوائل منهم - قد امتازوا بالمستوى الثقافى والعلمى الرفيع، فالمنصور والرشيد والمأمون كانوا فى مصاف العلماء.

ومن أهم مميزات الحركة العلمية فى هذا العصر تيسير سبل المعرفة والثقافة أمام الجميع، ورعاية طلبة العلم على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، وأدى هذا إلى ظهور جمهور من العلماء والأدباء من أبناء العامة والشعوب التى أسلمت حديثاً.

ومن مظاهر الحياة العلمية فى العصر العباسى: رواج حركة الترجمة من الحضارات القديمة، وقد كانت الحضارة الإسلامية فى هذا العصر من القوة التى استطاعت معها أن تهضم وتنقح وتعيد صياغة كل ما نقل إليها وصبغه بصبغتها الخاصة، مما ساعد فى مزيد من القوة والنضوج للحضارة الإسلامية. وقد أسهمت عروبة الخلفاء العباسيين فى جعل اللغة العربية هى لغة الحضارة الناشئة وسياجها الحامى لها.

وقد كان هذا العصر - نتيجة لما تمتع به من قوة سياسية واستقرار شامل وحرية فكرية - يُموج بشتى الأفكار والفرق، فنجد فرق المعتزلة والشيعة والزنادقة والخوارج. وقد كان لحركات الزنادقة نشاط واسع أدى إلى آثار سلبية كثيرة على المجتمع.

وكانت هناك كثير من المراكز العلمية التى كانت تزخر بالحركة العلمية النشطة: منها مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وبغداد، والكوفة، والبصرة، ومصر، ودمشق، وبلاد ما وراء النهر، والتى دخلت فى الإسلام حديثاً.

وفى هذا العصر ظهرت مدرستان أساسيتان فى الفقه الإسلامى: مدرسة الرأى، ومدرسة الحديث.

أما مدرسة الرأى فأبرز من يمثلها فى الكوفة: حماد بن أبى سليمان، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، وتلامذته محمد بن الحسن الشيبانى، وأبو يوسف القاضى، وزفر بن الهذيل البصرى، والحسن بن زياد اللؤلؤى، وفى المدينة ربيعة الرأى ابن عبد الرحمن. وتعد مدرسة الرأى امتداداً لمدرسة عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - الذى أقام بالعراق، وحمل عنه أصحابه العلم وقاموا بنشره حتى قال الحنفية: المذهب قول ابن مسعود. وكان عبد الله بن مسعود شديد التأثير بمنهج عمر بن الخطاب فى الأخذ بالرأى والبحث عن علل الأحكام حيث لا نص. كما كان لأصحاب على بن أبى طالب - رضى الله عنه - دور كبير فى مدرسة الرأى.

ومن أشهر أصحاب ابن مسعود علقمة بن قيس النخعى، والأسود بن يزيد النخعى، ومسروق بن الأجدع الهمدانى، وعبيدة بن عمرو السلمانى، وشريح بن الحارث القاضى، والحارث الأعور، وهم جميعاً من فقهاء القرن الأول، وماتوا رحمهم الله بين سنتى (٦٣ - ٨٣هـ). ثم تزعم مدرسة الرأى الإمام إبراهيم بن يزيد النخعى،

ثم أتى بعده الإمام أبو حنيفة فتلورت على يديه هو وأصحابه طريقة مدرسة الرأي واستقر أمرها.

وكانت مدرسة الرأي مزدهرة في العراق ومراكزه العلمية، كما كان لها وجود قليل في المدينة حيث كان يقيم الإمام ربيعة بن عبد الرحمن المشهور بريعة الرأي.

وترى مدرسة الرأي أن شريعة الإسلام معقولة المعنى، مبنية على أصول محكمة، وعلل ضابطة للأحكام، ودور الفقيه أن يكشف عن هذه العلل ليستطيع الحكم فيما استجد من الأمور.

وقد كان لشيوع الفرق المختلفة بالعراق، وانتشار البدع فيه، وكثرة الكذب والوضع على النبي ﷺ والصحابة أثر بالغ في تقلل أئمة الرأي من رواية الحديث والاعتماد على الاستنباط مما صح عندهم، خاصة وأن التصنيف في السنة النبوية كان مازال في أطواره الأولى، ولم يصنف أئمة الحديث المعبرين بعد كتبهم المختارة المنتقاة التي يمكن الاعتماد عليها.

أما مدرسة الحديث فكان يمثلها العديد من الأئمة منهم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وعمرو بن حزم، ومحمد بن سيرين، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وعطاء ابن أبي رباح، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، ووکیع بن الجراح، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، ومسلم بن خالد الزنجي، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، والإمام الشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، وغيرهم كثيرون من أئمة مدرسة الحديث.

وتُعد مدرسة الحديث امتداداً لمدرسة عبد الله بن عباس، وعبد الله ابن عمر، وعائشة - رضى الله عنهم - وغيرهم من فقهاء الصحابة الذين أقاموا بمكة والمدينة واشتهر أصحابهم بها. ولما كانت مدرسة الحديث منتشرة بمكة والمدينة، كان لها وجودها القوي أيضاً بالعراق حيث كان يمثلها عامر الشعبي وسفيان الثوري، كما كان لها وجودها القوي بالشام حيث مثلها الإمام الأوزاعي، وعبد الله بن المبارك، ومحمد بن جرير الطبري.

وقد كان الخلفاء العباسيون يعملون بمذهب جدهم عبد الله بن عباس، وقد جمع فتياه حفيد للمأمون، واسمه أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب.

وتمتاز مدرسة الحديث بالوقوف عند النص من الكتاب أو السنة فإن لم يجدوا نظروا في آثار الصحابة، وكان لكثرة بضاعتهم من الحديث وحفظهم له، وقلة ما يعرض لهم من مستجدات الحوادث في الحجاز - معقل مدرسة الحديث - أثر كبير في عدم الحاجة إلى التوسع في الاستنباط بخلاف ما كان عليه الحال في العراق.

ومن الممكن القول بأن التشريع الإسلامي في هذا العصر كان في دوره الرابع، باعتبار أن الدور الأول كان في عصر النبي ﷺ، والدور الثاني هو دور الصحابة ويمتد حتى نهاية عصر الراشدين سنة ٤١هـ، والدور الثالث والذي يمتد من سنة ٤١هـ وحتى سقوط الدولة الأموية.

وقد امتاز الدور الثالث بأربعة أمور: اتساع دائرة الفقه/ شيوخ رواية الحديث/ بداية ظهور مدرستي أهل الحديث وأهل الرأي/ ارتباط كل بلد بما تلقوه من العلم عن فقهاءهم الذين أخذوا عنهم استقر عندهم من الصحابة.

ثم يأتى بعد ذلك الدور الرابع والذي يبدأ من أوائل القرن الثانى ويمتد إلى منتصف القرن الرابع، وقد نما الفقه فى هذا الدور نمواً عظيماً، وزود الدولة الإسلامية بكل ما تحتاجه لتنظيم أمورها فى شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وفى هذا الدور ظهر نوابغ الفقهاء، وفيه كان المجتهدون العظام الذين أسسوا مذاهبهم، وتبلورت على أيديهم المدارس الفقهية الموجودة، كما دون فى هذا الدور علم الفقه بصورة متكاملة، وضبطت قواعده، وقعدت أصوله، وجمعت أشناته. كما دونت السنة تدويناً كاملاً مما ساعد البحث الفقهي أتم المساعدة.

مميزات العصر العلمية:

نستطيع أن نجمل مميزات العصر على وجه الإجمال فيما يلى:

- ١ - اشتداد الخلاف بين مدرستى الرأى والحديث، ثم استقرار الأمر على اعتبار الرأى مدرسة فقهية صحيحة متى كانت قائمة على أصول محددة بعيدة عن الهوى.
- ٢ - نهوض الفقه واتساع آفاقه، وظهور العديد من القضايا المستجدة.
- ٣ - اتجاه الدولة إلى الأخذ ببعض المذاهب المحددة فى القضاء والحكم.
- ٤ - ازدهار التدوين فى كثير من العلوم.
- ٥ - ظهور الفقه التقديرى الفرضى، بعد أن كان الفقه واقعياً، لا يبحث عن حكم ما يقع من الحوادث، أما فى هذا العصر فقد تجاوز الفقهاء الواقع إلى فرض وقائع وتقدير نوازل لم تحدث بعد ثم بحث حكمها.

٦ - كثرة الآراء فى المسألة الواحدة، نظراً لتعدد مناهج البحث، وأصول المذاهب.

٤ - طلبه للعلوم ورحلته:

٤ - ١ - البداية:

حفظ الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - القرآن، ولم يتجاوز سبع سنين، وكان يقرأ على إسماعيل بن قسطنطين، وكان شيخ أهل مكة فى زمانه، ثم بدأ طلبه للعلم مبكراً، وعمره نحو عشر سنين، وحبب إليه العلم جداً، فكان يجالس العلماء بمكة، ويحفظ الحديث والمسائل، فيحكى عن نفسه فيقول: جعلت لذتى فى هذا العلم وطلبه حتى رزقنى الله منه ما رزق.

٤ - ٢ - فقر الإمام الشافعى وأثره فى طلبه العلم:

وقد كان الشافعى أول أمره فقيراً لا يجد ما يعطى المعلم، فرضى منه المعلم أن يخلفه فى مجلسه إذا قام ليضبط له الكتاب حتى يعود. فلما ختم القرآن بدأ فى مجالسة العلماء فى المسجد الحرام وتلقى العلم عنهم، وكان لفقره لا يجد ثمن الورق ليكتب فيه. فكان يجمع العظام العريضة ليكتب فيها، ثم يحفظها فى جرة قديمة كانت لديهم.

وقد حال الفقر بين الشافعى - رحمه الله تعالى - وبين الرحلة إلى الإمام الليث بن سعد بمصر، فكان شديد الحزن على ما فاتته من لقاء الليث بن سعد إمام مصر فى ذلك العهد، وأحد الأئمة المجتهدين.

ومع هذا فقد كان الشافعى يرى فى الفقر أكبر دافع لتعلم العلم، ويرى أن الغنى من موانع النشاط فى تعلم العلم، ويقول: لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس، فقيل: ولا الغنى المكفى؟ فقال: ولا الغنى المكفى.

٤ - ٣ - رحلته إلى المدينة:

ثم رحل - رحمه الله - إلى المدينة للأخذ عن علمائها، فقد كان حفظ موطأ الإمام مالك، وأراد أن يتلقاه عن الإمام مالك نفسه، وقد استصغر الإمام مالك سنه في أول الأمر، وطلب من الشافعي أن يحضر معه من يقرأ له، فلما سمع قراءة الشافعي أعجب مالك بها جداً، لفصاحة الشافعي وجودة قراءته.

وقد حفظ الشافعي الموطأ وقرأه على الإمام مالك وعمره ثلاث عشرة سنة تقريباً، أي كان ذلك سنة ١٦٣ هـ ولازمه حتى وفاته سنة ١٧٩ هـ، أي أنه لازم الإمام مالك ست عشرة سنة.

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - : قدمت المدينة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة؛ لأقرأ على مالك الموطأ، فقال لي: أطلب من يقرأ لك. فقلت: أنا أقرأ لنفسي، فقرأت عليه، فكان ربما يقول لي في حديث من الأحاديث أعده، فأعيده حفظاً.

٤ - ٤ - رحلته الأولى إلى العراق:

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - : لما مات مالك كنت فقيراً، فاتفق أن والي اليمن قدم المدينة فكلمه بعض القرشيين في أن أصبح به، فذهبت معه، واستعملني في أعمال كثيرة، وحمدت فيها، والناس أثنوا عليّ.

ولم يكن عند أمي ما تعطيني ما أتحمّل به فرهنت داراً، فتحملت معه.

يقول الشافعي: ووليت نجران، وبها بنو الحارث بن عبد المدان، وموال من ثقيف، وكان الوالي إذا أتاهم صانعوه فأردوني على نحو ذلك فلم يجدوا عندي.

وقد سار الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - فيهم بالعدل، فوشوا به للخليفة فحمل إلى بغداد عاصمة الدولة العباسية سنة ١٨٤ هـ، وأدخل على هارون الرشيد الذي عرف للشافعي قدره ومكانته فأطلقه، وأجازه بخمسين ألفاً. يقول الشافعي: فما وصلت إلى الباب حتى فرقت الخمسين ألفاً على حجاب أمير المؤمنين وبوابيه.

ثم أخذ الشافعي يتصل بالحياة العلمية ببغداد، وكان ذلك أول أخذه لعلم عن علماء بغداد وخاصة الإمام محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة صاحب المذهب المشهور. وقد أكثر الشافعي من الأخذ على محمد بن الحسن، وتلقى جميع مصنفاته، ودرس مذهب الحنفية دراسة واسعة حتى كان يقوم، ويناظر تلاميذ محمد بن الحسن في مجلسه.

وقد أقام الشافعي مدة في بغداد، سافر بعدها عائداً إلى بلده مكة، ليعقد بها أول مجالسه في الحرم المكي.

٤ - ٥ - الرحلة الثانية والثالثة إلى بغداد:

ثم عاد الشافعي بعد ذلك من مكة إلى بغداد، وذلك سنة ١٩٥ هـ، وقد بلغ من العمر خمساً وأربعين سنة، وقد استوى عالماً له منهجه المتكامل، ومذهبه الخاص به.

وقد كان للشافعي في هذه الرحلة الثانية أثر واضح على الحياة العلمية في بغداد.

يقول الإمام إبراهيم الحربي (وهو أحد المجتهدين من مدرسة الحديث): قدم الشافعي بغداد، في الجامع الغربي عشرون حلقة لأصحاب الرأي، فلما كان في الجمعة لم يثبت منها إلا ثلاث حلق أو أربع.

وقد مكث الشافعي في بغداد في هذه القدمة سنتين، نشر بها مذهبه القديم، وصنف كتابه المسمى بـ«الحُجَّة»، وتخرج به جماعة من الفقهاء. ولازمه فيها أربعة من كبار أصحابه: أحمد بن حنبل، وأبو ثور، والزعفراني، والكرائسي.

ثم رجع الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - إلى مكة ليعود إلى بغداد مرة ثالثة وأخيرة في سنة ١٩٨ هـ، إلا أنه لم يمكث في هذه المرة الأخيرة غير بضعة أشهر عزم فيها على الرحيل إلى مصر.

٤ - ٦ - الرحلة إلى مصر:

غادر الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - بغداد بعد أن نشر بها مذهبه، وترك بها عدداً كبيراً من أصحابه تولوا بعده نشر المذهب، والتصنيف فيه حتى أصبحت لهم مدرسة متميزة خاصة بهم داخل المذهب الشافعي عرفت بمدرسة العراقيين.

وكان الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - يعرف جيداً أحوال مصر قبل قدومه، فقد سأل الربيع عن أهل مصر قبل أن يرحل إليهم فقال الربيع: هم فرقتان، فرقة مالت إلى قول مالك وناضلت عنه، وفرقة مالت إلى قول أبي حنيفة وناضلت عنه.

فقال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - : أرجو أن أقدم مصر إن شاء الله، فآتيهم بشئ أشغلهم به عن القولين جميعاً. فكان كما قال رحمه الله تعالى.

وكان قد نبغ بمصر عدد من أئمة المالكية، فأول من أدخل مذهب مالك الإمام عبد الله بن وهب، وتبعه كثيرون، كعبد الرحمن بن القاسم، وأشهب بن عبد العزيز، وانتهت إليهما رئاسة المذهب المالكي بمصر، كما كان من أئمة المالكية عبد الله بن الحكم، وابنه

محمد، والذي صحب الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - لما قدم مصر.

وكان بالإضافة إلى المالكية والحنفية يوجد أصحاب الإمام الليث ابن سعد، والذي قال الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - فيه: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به. وكان الشافعى يتأسف كثيراً على فوات الليث، وقد توفى الليث سنة ١٧٥هـ، وكان الشافعى فقيراً لا يملك نفقة السفر إلى مصر للقاءه.

وقد قدم الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - مصر سنة ١٩٩هـ، صاحباً معه من تلاميذه الربيع بن سليمان المرادى، وعبد الله بن الزبير الحميدى، واللذين كانا ملازمين له فى رحلاته، وابتدأ فى إلقاء دروسه بجامع عمرو بن العاص، ومال إليه كثير من المصريين لعربيته وقرشيته، وتحول كثير من أتباع مالك وأبى حنيفة إلى مذهبه، كالإمام البويطى والمزنى.

٥ - نبوغ الشافعى:

٥ - ١ - إجازة الشافعى المبكرة بالإفتاء والتدريس ونحوه:

ظهر نبوغ الإمام الشافعى مبكراً، حتى أذن له شيوخه بالإفتاء وهو ابن خمس عشرة سنة، فلم يكن لطالب العلم حسب النظام العلمى المتبع آنذاك أن يتصدر للتدريس والإفتاء والتصنيف إلا بعد أن يأذن له شيوخه بذلك حين يرونه أهلاً وجديراً بهذا، ولا يتقيدون فى ذلك بسنّ، بل من رأوه أهلاً أجازوه وأذنوا له.

قال له شيخه الإمام مسلم بن خالد الزنجى شيخ مكة المكرمة فى عصره: افت يا أبا عبد الله، فقد - والله - آن لك أن تفتى. والشافعى ابن خمس عشرة سنة.

وهذا هو شيخه محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة يعرض على الشافعي أحد كتبه، ويحب أن ينظر فيها.

يقول له محمد بن الحسن: وضعت كتاباً على أهل المدينة تنظر فيه؟ فينظر فيه الشافعي ثم يضعه. فيسأله محمد بن الحسن: مالك؟ فيجيب الشافعي: أوله خطأ، على من وضعت هذا الكتاب؟ قال محمد: على أهل المدينة. قال الشافعي: من أهل المدينة؟ قال محمد: مالك بن أنس. قال الشافعي: فمالك رجل واحد، وقد كان بالمدينة فقهاء غير مالك: ابن أبي ذئب والمجاشون، وفلان وفلان. وقال رسول الله ﷺ: المدينة لا يدخلها الدجال، والمدينة لا يدخلها الطاعون، والمدينة على كل بيت منها ملك شاهر سيفه.

٥ - ٢ - نبوغ الشافعي:

لقد جاوز نبوغ الشافعي ما كان يتمناه معاصروه أن يروه في أحد من العلماء حتى قال أيوب بن سويد الرملي لما رأى الشافعي: ما ظننت أني أعيش حتى أرى مثل هذا الرجل قط.

وكان يحيى القطان - وهو أحد علماء السنة النبوية البارزين - يقول: «إنني لأدعو الله عز وجل للشافعي في كل صلاة». يعني لما فتح الله عز وجل عليه من العلم، ووفقه للسداد فيه.

وقال إسحاق بن راهوية - وهو أحد علماء السنة النبوية البارزين وأحد فقهاء مدرسة الحديث: «كنا بمكة والشافعي، وأحمد بن حنبل - أصحاب المذهب المشهور - بها فقال لي أحمد بن حنبل: يا أبا يعقوب جالس هذا الرجل - يعني الشافعي - . قلت: ما أصنع به، وسنه قريب من سنتنا؟ أترك ابن عيينة والمقبري (وهما من أهم حفاظ الحديث النبوي ورواته في هذا العصر). فقال أحمد بن حنبل: ويحك

إن ذاك يفوت، وذا لا يفوت فجالسته). يريد الإمام أحمد أنه إذا لم يجالس الشافعى للتعلم يفوته ما عنده، ولا يجد أحداً عنده مثله، بخلاف إذا فاته سماع الحديث من ابن عيينة والمقبرى فإنه يستطيع أن يسمعه من تلاميذهم.

وإنما قال إسحاق بن راهوية: «ما أصنع به وسنه قريب من سننا»؛ لأنه من عادة أهل الحديث أن يقصدوا سماع الحديث ممن كبرت سنه وعلت، حتى يكون رجال الإسناد بينهم وبين رسول الله ﷺ أقل ما يمكن من حيث العدد، وهو ما يسمونه بعلو الإسناد. وعلى سبيل المثال فإن ابن عيينة من شيوخ الشافعى الذين أكثر الشافعى من الأخذ عنهم، فإذا تواجد الاثنان فى بلدة واحدة كما فى القصة السابقة، كان من الأفضل من حيث الإسناد أن تذهب لابن عيينة للسماع منه فتكون قد ساويت الشافعى فى شيوخه، بينما إذا ذهبت إلى الشافعى تكون قد زدت على نفسك رجلاً فى الإسناد، وأصبح إسنادك نازلاً كما يسميه علماء الحديث، لكن لما كان عند الشافعى من الفقه والعلم ما ليس عند ابن عيينة حبذ الإمام أحمد الأخذ عن الشافعى، وإن كان الإسناد سيصبح نازلاً.

نستطيع فى ضوء هذا أن نقرأ الواقعة التالية: سافر الإمام أحمد للحج، فلما كان بمكة خرج يوماً باكراً، فطلبه أحد أصحابه فى مجلس ابن عيينة وعنده ابن الزهرى وعمرو بن دينار وزباد بن علاقة والتابعين ما الله به عليم (يعنى عنده من حديثهم الذى يروونه عن الصحابة عن النبى ﷺ). فقال لى أحمد: اسكت، فإن فأتك حديث بعلوه تجده بنزول؛ لا يضررك فى دينك، ولا فى عقلك، وإن فأتك أمر هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة، ما رأيت أحداً أفقه فى كتاب الله من هذا الفتى القرشى. قلت من هذا؟ قال: محمد بن

وقد كان الإمام أحمد لا يدع أحداً من أصحابه إلا ودله على الإمام الشافعى، فها هو يدل عليه الإمام إسحاق بن راهوية، وكذلك يدل الإمام الحميدى. يحكى الحميدى - وهو أيضاً من أئمة الحديث وكان مكياً - فيقول: «كان أحمد بن حنبل قد أقام عندنا بمكة على سفيان بن عيينة. فقال لى ذات يوم: ههنا رجل من قريش له بيان ومعرفة. فقلت له: فمن هو؟ قال: محمد بن إدريس الشافعى. وكان أحمد بن حنبل قد جالسه بالعراق، فلم يزل بى حتى أجتذبنى إليه».

فلما ذهب الحميدى إلى الشافعى أعجب به جداً، وأصبح من كبار أصحابه، وأخذ يدعو الناس إلى مجالسته والأخذ عنه حتى أصبح مجلس الشافعى يقرب من مجلس سفيان بن عيينة، فقد كان الشافعى أول الأمر يجلس جانباً بالحرم المكى، بينما يجلس ابن عيينة بصدر الحرم. يحكى لنا الحميدى ذلك فيقول: وكان كلامه وقع فى قلبى، فجالسته، فغلبتهم عليه (يعنى أصبحت أقرب إليه من أصحابه القدامى)، فلما نزل تقدم مجلس الشافعى، حتى كان يقرب مجلس سفيان بن عيينة.

ولكن هذا هو شيخ الشافعى: الإمام سفيان بن عيينة نفسه يرجع إلى تلميذه النجيب الشافعى يسأله عن فقه حديث رواه، يقول إبراهيم بن محمد: كنا فى مجلس ابن عيينة - والشافعى حاضر - فحدث ابن عيينة أن النبى ﷺ مر به رجل فى بعض الليل، وهو مع امرأته صفية، فقال ﷺ: تعال، هذه امرأتى صفية. فقال: سبحان الله! يا رسول الله. قال ﷺ: إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم. فقال ابن عيينة للشافعى: ما فقه هذا الحديث با أبا عبد الله. قال: إن كان القوم اتهموا النبى ﷺ: كانوا بتهمتهم إياه كفاراً، لكن النبى ﷺ

أدب من بعده فقال: إذا كنتم هكذا فافعلوا هكذا، حتى لا يظن بكم ظن السوء؛ لأن النبى ﷺ يُتهم؛ وهو أمين الله عز وجل فى أرضه، فقال ابن عيينة: جزاك الله خيراً يا أبا عبد الله ما يحيئنا منك إلا كل ما نحبه.

ولم يكن سفيان بن عيينة قليل القدر فى الفقه والعلم ولكنه أدب العلماء الذى جعله يعطى كل ذى حق حقه، وكان من أدب سفيان ابن عيينة أنه كان لا يحب الفتيا، حتى إن الشافعى كان يقول: ما رأيت أحداً من الناس فيه من آلة العلم ما فى سفيان بن عيينة، وما رأيت أحداً أكف عن الفتيا منه، وما رأيت أحداً أحسن لتفسير الحديث منه.

ويقول الإمام أحمد بن حنبل: كانت أقفيتنا أصحاب الحديث فى أيدي أصحاب أبى حنيفة ما تنزع^(١)، حتى رأينا الشافعى، وكان أفقه الناس فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

٦ - شيوخه وتلاميذه:

٦ - ١ - شيوخه:

أخذ الشافعى القرآن على إسماعيل بن قسطنطين شيخ أهل مكة فى زمانه بقراءة ابن كثير.

وأخذ العلم عن شيوخ مكة منهم: سفيان بن عيينة إمام أهل الحديث، ومسلم بن خالد الزنجى فقيه مكة، وسعيد بن سالم القداح، وداود بن عبد الرحمن العطار، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى

(١) كناية عن تسلط أصحاب أبى حنيفة على أصحاب الحديث، بسبب ضعف أصحاب الحديث فى الفقه، فربما رووا الحديث فلا يحسنون فهمه، ولا معرفة أحكامه، فيتسلط عليهم أصحاب أبى حنيفة.

داود.

كما لازم الإمام مالك بالمدينة سنين حتى توفي سنة ١٧٩ هـ.

وأخذ بالمدينة أيضاً عن إبراهيم بن سعد الأنصاري، وعبد العزيز ابن محمد بن الدراوردي، وإبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي، ومحمد بن سعيد بن أبي فديك، وعبد الله بن نافع الصائغ صاحب ابن أبي ذئب.

ولما سافر لبغداد في المرة الأولى أخذ عن: محمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي حنيفة، ووكيع بن الجراح، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، وأبو أسامة حماد بن أسامة الكوفي، وإسماعيل بن عليّة، وهؤلاء الأربعة من حفاظ الحديث النبوي.

٦ - ٢ - أصحابه وتلاميذه:

من أصحاب الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - الإمام أحمد بن حنبل، وقد رأينا فيما سبق كيف كان حب الإمام أحمد للشافعي، وحرصه على حضور مجالسه، وحث أصحابه على حضورها.

وكان الإمام أحمد يحب المكث مع الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - ، فيقول للحسن بن محمد الصباح: إذا رأيت أبا عبد الله الشافعي قد خلا فأعلمني، قال: وكان يجيئه إذا ارتفع النهار فيبقى معه.

وقد كان الحب بينهما متبادلاً، وكان الإمام الشافعي بعد أن استقر بمصر يتمنى قدوم الإمام أحمد ويقول وعدني أحمد بن حنبل أن يقدم على مصر.

ولكن يبدو أن خفة ذات يد الإمام أحمد وفقره منعه من الوفاء بوعدته للإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - .

ومن أصحابه: أبو بكر الحميدى، والذي كان من حفاظ الحديث، فكان لأهل مكة، كأحمد بن حنبل لأهل العراق.

ومن أصحابه: أبو الوليد المكي موسى بن أبى الجارود، راوى كتاب الأمالى عن الشافعى.

ومن أصحابه: الإمام الجليل أبو يعقوب البويطى، وهو أكبر أصحاب الشافعى المصريين.

ومن أصحابه: الإمام الجليل أبو إبراهيم المزنى، ناصر مذهب الشافعى، وصاحب المختصر المشهور بمختصر المزنى.

ومن أصحابه: الإمام الجليل الربيع بن سليمان المرادى، راوية كتب الإمام الشافعى.

ومن أصحابه: الإمام الجليل أبو ثور إبراهيم بن خالد البغدادى، وكان من العلماء المجتهدين.

٦ - ٣ - علاقته بتلاميذه:

كان للشافعى طريقته المتميزة فى تربية تلاميذه، وكان حريصاً أشد الحرص على تنمية روح الاجتهاد والاستقلال فى نفوسهم.

وكان يقول لهم: كل ما قلت لكم فلم تشهد عليه عقولكم وتقبله وتره حقاً فلا تقبلوه؛ فإن العقل مضطر إلى قبول الحق.

وكان الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - ينهى تلاميذه أشد النهى عن التقليد سواء له أو لغيره.

يقول الإمام المزنى فى مقدمة المختصر المشهور فى الفقه: أختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله ومن معنى قوله، لقربه على من أراده، مع إعلامية نهيه عن تقليده،

وتقليد غيره لينظر فيه لدينه، ويحتاط فيه لنفسه، وبالله التوفيق.

ولهذا فإن الراصد لطبقات علماء الشافعية يجدهم قد فاقوا سائر المذاهب الأخرى فى عدد من وصل منهم لرتبة الاجتهاد، حتى إنه لا تكاد تخلو طبقة منهم من مجتهد أو أكثر، مما يعنى أن سلاسل المذهب وأسانيده متصلة بالمجتهدين فى طبقاتها جميعاً، وهذه منقبة عظيمة^(١).

ويكلم الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - تلميذه يونس بن عبد الأعلى مرة فى مسألة، فيتراجعان فيها، فيقول الشافعى: إنى لأجد فرقانها فى قلبى، وما أقدر أن أبينه بلسانى.

وكان الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - يشجع تلاميذه على التفكير ويحثهم عليه بشتى الوسائل ويجعل لهم الجوائز المالية لمن أصاب منهم، يقول الحميدى: كان الشافعى ربما ألقى على وعلى ابنه أبى عثمان المسألة فيقول: أيكما أصاب فله دينار.

وكان شديد الحب لأصحابه واسع الجود معهم، يقضى لهم حوائجهم ويساعدهم فى أمورهم، وقد ذكرنا فى باب صفات الشافعى تحت صفة الجود الكثير من المواقف.

وقد بلغ حب الشافعى من نفوس أصحابه مبلغاً كبيراً، فكانوا لا

(١) قال ولى الله الدهلوى فى الأنصار بيان أسباب الاختلاف ص ٨٥ . وأما مذهب الشافعى فأكثر المذاهب مجتهداً مطلقاً ومجتهد آخر المذهب وأكثر المذاهب أصولياً ومتكلماً وأوفرها تفسير القرآن وشارحا للحديث وأسندها إسناد أو رواية وأقواها ضبطاً النصوص الإمام، وهذا الحق الذى لأمريه فيه نقله العلامة المنصف عبد الحى اللكنونى فى مقدمة النافع الكبير ص ٩ من تعليقات الشيخ محمود سعيد كتابه الشذ الفواح فى أخبار سيدى الشيخ عبد الفتاح ص ٢٦.

يتوانون عن نشر مذهبه وقراءة كتبه من بعده حرصاً منهم على نشر علم الشافعى بين الناس ليتتبعوا به.

يقول الربيع بن سليمان المرادى: كتب إلى أبى يعقوب البويطى وهو فى السجن (وكان البويطى قد أخلفه الشافعى فى مجلسه بعده، فلما سجن البويطى جلس مكانه الربيع بن سليمان المرادى راوية كتب الشافعى): يسألنى أن أصبر نفسى للغرباء ممن يسمع كتب الشافعى ويسألنى أن أحسن خلقى لأصحابنا الذين فى الحلقة، والاحتمال منهم، ويقول لم أزل أسمع الشافعى كثيراً يردد هذا البيت:

أهين لهم نفسى فهم يكرمونها ولن تكرم النفس التى لا تهينها
٧ - مذهب الفقهي:

٧ - ١ - أهمية مذهب الشافعى:

لمذهب الشافعى أهمية كبيرة وانتشار واسع من عصر الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - ، وإلى يومنا هذا.

ولعلماء المذهب الشافعى أثر بالغ فى تاريخ العلوم الإسلامية قاطبة ، والمؤلفون فى شتى العلوم بين علماء هذا المذهب فى غاية الكثرة، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، بل لو أراد طالب علم منتسب إلى مذهب الشافعى ألا يتعلم العلوم الإسلامية إلا من خلال مؤلفات وضعها علماء شافعية لتيسر له ذلك تماماً، ودون أدنى مشقة.

ولآراء الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - قيمتها الخاصة منذ كانت؛ يقول حميد بن أحمد البصرى: كنت عند أحمد بن حنبل، نتذاكر فى مسألة، فقال رجل لأحمد: يا أبا عبد الله، لا يصح فيه حديث.

فقال: إن لم يصح فيه حديث، ففيه قول الشافعى، وحُجته أثبت شئ فيه. ثم قلت للشافعى: ما تقول فى مسألة كذا وكذا؟ فأجاب فيها قلت: من أين قلت؟ هل فيه حديث أو كتاب (يعنى قرآن). قال الشافعى: بلى، فنزع فى ذلك حديثاً للنبي ﷺ، وهو حديث نص فى المسألة.

وهكذا نجد فى هذا الموقف أن الشافعى أكثر استحضاراً لنصوص الكتاب والسنة، وأكثر قدرة فى الاستدلال بها من كبار حفاظ الحديث.

ومذهب الشافعى أقل خطأ وأكثر اتباعاً للكتاب والسنة، هكذا كان يراه معاصروه، من كبار أئمة ذلك الوقت، والذين اتصلوا بكافة المذاهب الموجودة فى ذلك الوقت.

ويقول الإمام إسحاق بن راهوية (قرين الإمام أحمد بن حنبل وأحد المجتهدين): ما تكلم أحد بالرأى - وذكر الثورى، والأوزاعى، ومالكاً، وأبا حنيفة، إلا والشافعى أكثر اتباعاً، وأقل خطأ منه.

٧ - ٢ - مذهب الشافعى واتباعه للسنّة النبوية:

لعل هذه الخصيصة من أهم خصائص مذهب الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - .

يقول الإمام أحمد: ما من أحد وضع الكتب منذ ظهرت (يعنى فى الإسلام) أتبع للسنّة من الشافعى.

يقول الإمام أحمد هذا، وقد سبق الإمام الشافعى إلى التأليف أمثال الزهرى، ومالك، وأبى حنيفة، والأوزاعى، وغيره من مصنفى العلماء.

يقول الإمام أحمد: كان الشافعى إذا ثبت عنده الخبر قلده.

ويحكى الإمام الربيع بن سليمان المرادى أن الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - روى حديثاً ذات يوم، فقال له رجل: تأخذ بهذا يا أبا عبد الله. فقال الشافعي: سبحان الله! أروى عن رسول الله ﷺ شيئاً لا آخذ به، متى عرفت لرسول الله ﷺ حديثاً، ولم آخذ به: - فأننا أشهدكم أن عقلي قد ذهب.

ومن المشهور حرص الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - على اتباع السنة النبوية، وتنبيهه على أصحابه ألا يتبعوه في أى مسألة خالف فيها حديثاً صحيحاً لم يبلغه وبلغهم.

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - : كل ما قلت وكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح فحديث النبي ﷺ أولى، ولا تقلدوني.

وكان الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - يقول: كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي، وإن لم تسمعه مني.

ومن جهة أخرى فإن الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - قد بلغ الغاية في إتقان رواية الحديث، وكان من أجل حفاظه حتى عد علماء الحديث أشرف الأسانيد في الدنيا ما رواه الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ.

٧ - ٣ - مذهب الشافعي بين مدرسة الرأي وأهل الحديث:

انقسم الفقهاء في عصر الشافعي وما قبله إلى مدرستين: فقهاء مدرسة الرأي، وعلى رأسها الإمام أبو حنيفة وأصحابه، ومدرسة الحديث، وعلى رأسها الإمام مالك وأصحابه، وكان كل منهما يمثل مدرسة مستقلة لها علماءها ورموزها، ومنهجها الخاص في استنباط الأحكام الشرعية.

وكان الجدل قد بلغ أشده بين هاتين المدرستين، خاصة والعلوم الشرعية كانت مازالت فى طور النشوء، ولما تستقر مناهجها بعد.

وقد أخذ الشافعى العلم من أئمة المدرستين معاً، وأحسن تلقيهما وفهمهما، فأخذ عن رموز مدرسة الحديث، كالإمام مالك، ومسلم ابن خالد الزنجى.

وأخذ عن رموز مدرسة الرأى، كربيعة الرأى بن عبد الرحمن، كما تلقى الشافعى مذهب الحنفية - كما تقدم - عن محمد بن الحسن صاحب الإمام أبى حنيفة، وأنفق الشافعى - على فقره - مبالغ كبيرة فى تحصيل نسخ من مؤلفات الإمام محمد بن الحسن، فلما حصلها أخذ فى تدبرها، يقول الشافعى: «فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثاً»، يعنى من المسائل التى يرى الشافعى أنها مخالفة للسنة النبوية.

وقد كان للشافعى دور بالغ الأهمية فى حسم الجدل الفقهى الذى كان دائراً بين هاتين المدرستين الفقهيّتين السائدتين فى هذا الوقف، حيث يسر له الجمع بين المدرستين من القيام بدور كبير فى حسم الجدل الدائر، وترجيح القواعد والأصول الفقهيّة.

ولكن لم ينشئ الشافعى مدرسة مستقلة، بل هو محدود من أئمة مدرسة الحديث، ومن الممكن القول بأن دوره تمثل فى التخلص من المآخذ التى كانت تؤخذ على شيوخ الحديث، وسد نقاط الضعف التى كانت تؤخذ عليهم، وفى نفس الوقت الذى استطاع فيه تحصيل نقاط القوة التى كان يمتاز بها أئمة مدرسة الرأى مع مجانبة المآخذ التى تؤخذ عليهم أيضاً.

وكان الشافعى لا ينى فى الدفاع عن مدرسته الحديثية، يقول الشافعى: قال لى محمد بن الحسن: أيهما أعلم صاحبنا أو صاحبكم؟ يعنى مالكا وأبا حنيفة.

قلت: على الإنصاف؟ قال: نعم. قلت: فأنشدك بالله. من أعلم بالقرآن: صاحبنا أم صاحبكم؟ قال: صاحبكم.

قلت: فمن أعلم بالسنة، صاحبنا أم صاحبكم؟ قال: اللهم صاحبكم.

قلت: فأنشدك الله: من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله ﷺ والمتقدمين: صاحبنا أم صاحبكم؟ قال: صاحبكم.

قال الشافعي: فلم يبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، فمن لم يعرف الأصول على أى شئ يقيس.

وقد كان أئمة مدرسة الحديث بحاجة شديدة إلى من يقوم بهذا الدور الذي قام به الشافعي.

يقول الحميدى - وهو أحد أئمة الحديث النبوى المبرزين - : كنا نريد أن نرد على أصحاب الرأى، فلم نحسن كيف نرد عليهم؛ حتى جاء الشافعي ففتح لنا.

وذلك لما كان عليه شيوخ أهل الحديث فى هذه الفترة من الضعف الفقهي، حتى كان أصحاب الرأى يسخرون من ضعف أهل الحديث فى الفقه، وعدم قدرتهم على استنباط الأحكام مما يرونه.

يقول أبو ثور: لما ورد الشافعي العراق جاءنى حسين الكرابيسى - وكان يختلف معى إلى أصحاب الرأى - فقال:

ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه، فقم بنا نسخر به. فقممت، وذهبتا حتى دخلنا عليه فسأله الحسين عن مسألة: فلم يزل الشافعي يقول: قال الله، وقال رسول الله ﷺ؛ حتى أظلم علينا البيت، فتركنا بدعتنا، واتبعناه.

والإمامان أبو ثور وحسين الكرابيسى معدودان فى كبار أصحاب

الشافعى الذين نقلوا عنه المذهب.

وكما رأينا فقد كان للشافعى أثر كبير فى توجه كثير من الأئمة إلى مذهب أهل الحديث، بعد أن كانوا من أئمة مدرسة الرأى.

يقول أبو ثور أيضاً: كنت أنا وإسحاق بن راهوية، وحسين الكرابيسى - وذكر جماعة من العراقيين - ما تركنا بدعتنا حتى رأينا الشافعى.

٧ - ٤ - أطوار المذهب الشافعى:

مرّ المذهب الشافعى بعدة أطوار:

أ - طور الإعداد والتكوين: ابتداء هذا الطور بعد وفاة الإمام مالك سنة ١٧٩هـ، واستمر فترة طويلة حيث استغرق حوالى ستة عشر عاماً إلى أن قدم الشافعى إلى بغداد للمرة الثانية ١٩٥ هـ.

ب - طور الظهور للمذهب القديم: احتلت هذه المرحلة الفترة الزمنية من وقت قدوم الشافعى بغداد المرة الثانية سنة ١٩٥ هـ إلى رحيله إلى مصر سنة ١٩٩ هـ.

ج - طور النضج والاكتمال لمذهبه الجديد: وبدأ بقدومه إلى مصر سنة ١٩٩ هـ، وحتى وفاته رحمه الله تعالى سنة ٢٠٤ هـ.

د - طور التخريج والتذييل: ابتداء هذا الطور من بعد وفاة الإمام الشافعى، وشغل فترة طويلة امتدت حتى منتصف القرن الخامس الهجرى، وربما وصل به بعض الباحثين إلى القرن السابع الهجرى.

وفى هذا الطور نشط الأصحاب والمجتهدون فى المذهب إلى استخراج المسائل من أصوله، وتوجيه أقواله، وتخريج المسائل على قواعده.

هـ - طور الاستقرار: حيث استقرت مدارس المذهب، وقام

العديد من العلماء بوضع الكتب الفقهية الواسعة التي تجمع بين مدارس ومناهج الشافعية المختلفة، والترجيح بينها، ثم وضع الكتب المختصرة في المذهب التي تشمل على الراجح في المذهب، وشرح هذه المختصرات بطريقة مدرسية.

٧ - ٥ - بين القديم والجديد:

اشتهر أن الشافعي رجع عن مذهبه القديم إلى مذهبه الجديد لما قدم إلى مصر بسبب ما رآه بها من اختلاف العادات.

ورغم اشتهار هذا الرأي بين عموم المثقفين، وكثير من المتخصصين إلا أنه بعيد عن الواقع بالفعل.

ولو كان الأمر كذلك لبقى أصحاب الشافعي بالعراق على مذهبه القديم لكونه أنسب لبلدهم.

والمتتبع للمسائل التي خالف فيها القديم الجديد: يجد أن البحث فيها متعلق بالترجيح من حيث الدليل.

كما أن المسائل التي رأى فيها فقهاء الشافعية أن القديم أرجح فيها من الجديد: إنما رأوا ذلك لرجحان دليل القديم، لا لكونهم عراقيين.

سئل الإمام أحمد: ما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين، أحب إليك أو التي بمصر؟ قال: عليك بالكتب التي وضعها بمصر؛ فإنه وضع هذه الكتب بالعراق، ولم يُحكمها، ثم رجع إلى مصر، فأحكم تلك.

ويقول عمرو بن سواد السرحي: قال لي الشافعي: ما لك لا تكتب كتبي. فسكت. فقال له رجل: إنه يزعم أنك كتبت، ثم غيرت. ثم كتبت، ثم غيرت. فقال الشافعي: الآن همى الوطيس.

يريد الشافعي: قد تعين شرح جلية الأمر، وتحتّم الكشف عن حقيقة السر، وذلك أن المجتهد إذا ما صح الدليل لديه وجب عليه العمل بموجبه، فإذا تبين له بعد ذلك دليل أقوى منه يدل على خلاف حكمه الأول وجب عليه الرجوع عن الحكم الأول إلى الحكم الثاني، فالتغيير لم ينشأ عن شك واضطراب، بل عن بحث واجتهاد وتحرّ للصواب.

٧ - ٦ - المذهب الجديد:

عن بحر بن نصر الخولاني المصري قال: قدم الشافعي من الحجاز، فبقى بمصر أربع سنين، ووضع هذه الكتب في أربع سنين ثم مات.

٧ - ٧ - أسس المذهب:

١ - اتباع الكتب والسنة:

تقدم بيان اتباع الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - للسنة النبوية الشريفة حتى أنه قال: كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي، وإن لم تسمعه مني.

٢ - اتباع الحق والدليل:

وهذه من أهم مميزات مذهب الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - فما كان يحول بينه وبين اتباعه للدليل حائل من متابعة عمل أهل بلده، أو تقليد أحد من الأئمة السابقين عليه، فنجد مثلاً الإمام مالك يرى عمل أهل المدينة حجة يأخذ بها ولا يدعه لمرويات أحد من أهل البلاد الأخرى، ويرى أن عمل أهل المدينة هو آخر الأمر من رسول الله ﷺ. بينما كان الإمام أبو حنيفة يأخذ بما كان عليه أهل بلده بالعراق، ولا يخالفهم.

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - للإمام أحمد بن حنبل:

أنتم أعلم بالحديث والرجال منى، فإذا كان الحديث صحيحاً فأعلمونى: كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً؛ حتى أذهب إليه إن كان صحيحاً.

٣ - الاهتمام بأقوال الصحابة:

حيث كان الشافعى يرى أن أقوال الصحابة فيما اتفقوا عليه حجة أما إذا اختلفت الصحابة فى مسألة فيحتاج الأمر إلى الترجيح بينهم بدليل آخر.

ويرى الشافعى أنه إذا انفرد الصحابى بقول ولم يوجد فى المسألة نص من الكتاب أو السنة فإن هذا القول أولى من القياس.

وإذا كان قول الصحابى فى الأمور التى فيها مجال للاجتهاد، فقد رأى الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - أن قول الصحابى ليس بحجة على غيره من المجتهدين.

٤ - الأخذ بالقياس:

وقف الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - فى القياس موقفاً وسطاً، فلم يتشدد فيه تشدد الإمام مالك، ولم يتوسع فيه توسع الإمام أبى حنيفة. ومع هذا فكان الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - يرى للقياس أهمية كبيرة فى العملية الفقهية، حتى جعله هو والاجتهاد بمعنى واحد وكان رحمه الله تعالى يقول: الاجتهاد القياس.

٥ - اعتبار الأصل فى الأشياء:

من الأسس التى بنى عليها الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - مذهبه فيما لم يرد فيه نص أن الأصل فى المنافع الإباحة، والأصل فى المضار التحريم.

٦ - الاستصحاب:

وهو عبارة عن ثبوت أمر في الزمان الثاني بما على ثبوته في الزمان الأول. فإذا عرفنا حكماً من الأحكام في الزمن الماضي، ولم يظهر لنا ما يدل على عدمه، حكمنا الآن في الزمان الثاني بأنه لازال باقياً على ما كان عليه؛ لأنه لم يظن عدمه، وكل ما كان كذلك فهو مظنون البقاء.

ومن ذلك مثلاً أن الأصل براءة ذمة الإنسان حتى يقوم الدليل على شغلها بواجب أو حق عليه، فنستصحب هذه البراءة فيما لو اتهم إنسان بدين أو حق يتعلق بذمته، ولا بينة عليه، فنستصحب الأصل في براءة ذمته.

٧ - الاستقرار:

وهو عبارة عن تتبع أمور جزئية ليحكم بحكمها على أمر يشتمل على تلك الجزئيات، حيث يستدل بإثبات الحكم للجزئيات بعد تتبع حالها على ثبوت الحكم الكلي لتلك الجزئيات، وبواسطة ثبوته للكلي يثبت للصورة المتنازع في حكمها.

ومثاله الاستدلال على أن الوتر مندوب وليس بواجب بأن الوتر يؤدي على الدابة في السفر، وقد ثبت بتتبع أحوال النبي ﷺ أنه ما كان يصلي الفرائض على الدابة، وإنما كان يصلي النوافل فقط، فلما صلى الوتر على الدابة علمنا أنه مندوب، وحملنا ما روى مما يوهم ظاهره وجوب الوتر على تأكيد الاستصحاب.

٨ - الأخذ بأقل ما قيل:

حيث يرى الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - أن نأخذ بأقل ما قيل في المسألة، إذا كان الأقل جزءاً من الأكثر، ولم يجد دليلاً غيره.

فهذا الأصل عند الإمام الشافعي يستعمله عند عدم وجود دليل آخر في المسألة، فيعمل به، لأنه قد حصل الإجماع الضمني على الأقل.

ومثاله دية الذمي. فقد اختلف العلماء فيها على ثلاثة أقوال:

ف قيل: إنها ثلث دية المسلم.

وقيل: إنها نصف دية المسلم، وهو مذهب المالكية.

وقيل: إنها كدية المسلم، وهو مذهب الحنفية.

فأخذ الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - بالثلث، بناء على أن الثلث أقل ما قيل في المسألة، وهو مجمع عليه، لأنه مندرج ضمن قول من أوجب النصف، أو الكل، والأصل براءة الذمة بالنسبة لمن سيدفع الدية، فلا يجب عليه شيء إلا بدليل يوجب الزيادة على الثلث، وإنما أوجبنا عليه الثلث للإجماع.

فهذه هي الأدلة التي بنى عليها الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى -، بالإضافة إلى ما قرره من قواعد في استثمار الأحكام من ألفاظ النصوص الشرعية، كقواعد العام والخاص، والمجمل والمبين، والمطلق والمقيد.

وعلى الجانب الآخر فقد رفض الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - بعض الأدلة التي قام بها غيره من الأئمة، حيث رأى الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - أنها ضعيفة، لا يصح الاستدلال بها.

١ - فمما رده من الأدلة: المصالح المرسلة:

فقد قبل الإمام مالك المصلحة المرسلة التي لم يرد عن الشارع اعتبارها أو إلغاؤها. فمن ذلك أنه يجوز عند الإمام مالك ضرب المتهم بالسرقة حتى يقر.

ولكن رد الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - هذا الدليل، ولم ير الأخذ به، وتابعه على ذلك جمهور العلماء.

٢ - وما رده الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - من الأدلة:

الاستحسان:

فقد رأى الحنفية العمل بالاستحسان، وهو ترجيح القياس الخفى على القياس الجلى فى بعض المسائل^(١).

ومن ذلك تصحيح الحنفية بيع المعاطاة (بأن يأخذ المشتري بضاعته من البائع ويعطيه الثمن دون التعاقد باللفظ على ذلك) لاطراد عرف الناس وعاداتهم على التعامل، فالأعصار لا تنفك عنها، ويغلب على الظن جريانها فى عهد النبى ﷺ، فجاز العمل بها استحساناً.

ورد الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - المعاطاة لمخالفتها لعموم الأدلة والقياس التى توجب التعاقد فى عملية البيع، وتشرط الإيجاب والقبول.

وليس المراد بالاستحسان: التشريع تبعاً للهوى واستحساناً له دون دليل شرعى، فهذا أمر اتفق الأئمة جميعاً على إبطاله ورده.

٣ - وما رده الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - : القول بعمل أهل المدينة:

فقد ذهب الإمام مالك إلى أن عمل أهل المدينة فيما أجمعوا عليه حجة؛ لأنه الآخر من عمل النبى ﷺ.

ورد الشافعى هذا الدليل: لأن الصحابة قد انتشروا فى البلدان

(١) الذى حرره لى شيخنا الجليل أن الخلاف فى ترجيح الدليل الجلى على الخفى لا القياس.

مع الفتوح، وحمل كل منهم عن النبى ﷺ العلم الكثير ونشره فى البلاد، فليس العلم بما كان من أمر النبى ﷺ مقتصرأ على أهل المدينة.

٤ - ومن الأدلة المردودة فى مذهب الشافعى: شرع من قبلنا:

فقد ذهب بعض العلماء إلى أننا متعبدون بما صح من شرائع من قبلنا، بطريق الوحي إلى النبى ﷺ بما فى شرعهم، لا بطرق كتبهم المبدلة.

ولكن رد الشافعية هذا القول، لأن الإسلام قد نسخ كل الشرائع التى قبله، فلم يبق فيها حجة.

٨ - الشافعى وعلم الأصول:

من المشهور أن الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - هو واضع علم الأصول.

يقول الإمام حسين الكرابيسى (أحد الفقهاء الكبار) وقد سئل عن الشافعى، فقال: ما أقول فى رجل ابتدأ فى أفواه الناس: الكتاب والسنة والاتفاق (يعنى أول من أطلق هذه العبارة)، ما كنا ندرى ما الكتاب والسنة - نحن ولا الأولون - حتى سمعنا من الشافعى الكتاب والسنة والإجماع.

٩ - مصنفات الشافعى:

٩ - ١ - أهميتها:

لمؤلفات الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - أهميتها البالغة لا بالنسبة إلينا كجزء من تراثنا الفقهى، بل لها أهميتها الراسخة منذ وضعت.

يسافر ابن وارة إلى مصر ثم يرجع إلى بغداد فيسأله أحمد: أكتبت كتب الشافعي؟ قال: لا. فقال: فرطت، ما علمنا المجلد من المفصل، ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي. قال: ما ترى من الكتب أن أنظر فيه ليفتح لي الآثار: رأى مالك أو الثوري أو الأوزاعي. فقال أحمد: عليك بالشافعي فإنه أكثرهم صواباً. قال: فما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين، أحب إليك أو التي بمصر؟ قال: عليك بالكتب التي وضعها بمصر؛ فإنه وضع هذه الكتب بالعراق، ولم يحكمها، ثم رجع إلى مصر، فأحكم تلك. قال ابن وارة: فلما سمعت ذلك من أحمد عزمت على الرجوع إلى مصر.

بل كان اعتماد الإمام أحمد في الفقه عليها، حتى قال: لم أنظر في كتاب أحد ممن وضع كتب الفقه غير الشافعي.

وبلغ من أهمية كتب الشافعي أن الإمام إسحاق بن راهوية تزوج امرأة أرملة بمدينة مرو، لم يتزوجها إلا لأن زوجها الأول كان عنده كتب الشافعي. وقد أثرت مصنفات الشافعي في المؤلفين من عصره وإلى يومنا هذا، فهذا الإمام إسحاق بن راهوية يضع جامعه الكبير على كتاب الشافعي، ويتبع أثر الشافعي فيه.

فمما ألفه الإمام الشافعي أو جمعه أصحابه له:

- ١ - الأم (مطبوع).
- ٢ - جامع المزني الكبير.
- ٣ - جامع المزني الصغير.
- ٤ - مختصر المزني (مطبوع).
- ٥ - مختصر الربيع.

- ٦ - مختصر البويطي.
- ٧ - كتاب حرملة.
- ٨ - كتاب الحجة وهو المذهب القديم.
- ٩ - الرسالة الجديدة (مطبوع).
- ١٠ - الرسالة القديمة.
- ١١ - الأمل.
- ١٢ - الإملاء.
- ١٣ - أحكام القرآن (مطبوع).
- ١٤ - مسند الشافعي (مطبوع).
- ١٥ - السنن للشافعي (مطبوع).
- ١٦ - كتاب ما اختلف فيه أبو حنيفة وابن أبي ليلى أو كتاب اختلاف العراقيين (مطبوع).
- ١٧ - كتاب اختلاف علي وابن مسعود (مطبوع).
- ١٨ - كتاب اختلاف مالك والشافعي.
- ١٩ - كتاب جماع العلم (مطبوع).
- ٢٠ - كتاب صفه نهى رسول الله (مطبوع).
- ٢١ - كتاب إبطال الاستحسان (مطبوع).
- ٢٢ - كتاب الرد على محمد بن الحسن (مطبوع).
- ٢٣ - كتاب القرعة (مطبوع).
- ٢٤ - كتاب اختلاف الحديث (مطبوع).

كما جمعت أشعار الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - فى ديوان مستقل مطبوع عدة طبعات.

٩ - ٢ - طريقة تصنيفه:

عن بحر بن نصر الخولانى المصرى قال: وكان الشافعى أقدم معه من الحجاز: كتب ابن عيينة، وخرج إلى يحيى بن حسان (وهو صاحب الإمام الليث بن سعد) فكتب عنه، وأخذ كتباً من أشهب بن عبد العزيز (صاحب الإمام مالك)، فيها آثار، وكلام من كلام أشهب. وكان يضع الكتب بين يديه ويصنف الكتب، فإذا ارتفع له كتاب (أى فرغ من تصنيفه): جاءه صديق له يقال له ابن هرم، فيكتب، ويقرأ عليه البويطى فى كتاب ابن هرم، وجميع من يحضر يسمع، ثم ينسخونه بعد، وكان الربيع على حوائج الشافعى (يقوم بقضاائها وتحصيلها له)، فربما غاب فى حاجة فيعلم له الشافعى، فإذا رجع قرأ الربيع عليه ما فاته.

٩ - ٣ - دقتها العلمية:

حرص الشافعى فى تصانيفه أن لا يذكر الكلام مرسلأ بل مؤيدأ بالدليل، والحجة.

وكان - رحمه الله تعالى - يحط من شأن من لا يسألون عن الحجة، أو يكتبون العلم دون فهم ويحدثون عن كل أحد دون تحرى الصادق من الرواة، ويقول: هذا مثل حاطب ليل يوشك أن يقطع حزمة الخطب، فيحملها، ولعل فيه أفعى تلدغه، وهو لا يدرى.

١٠ - النشاط العلمى للإمام الشافعى:

قال الشافعى: طلب العلم أفضل من صلاة نافلة.

١٠ - ١ - مجالسة العلمية:

كان للإمام مجلس علمى بالحرم المكى، وقد عقد هذا المجلس مبكراً

فى حياة شيوخه، وفى الوقت الذى كان أقرانه ومن قاربه فى السن مازالوا فى دور طلب العلم. وقد تقدم فى قصة الإمام أحمد والإمام الحميدى من الشافعى رحمه الله على الجميع، ما يوضح لنا هذه القضية.

أما مجالسه فى مصر فيحكى لنا عنها صاحبه الريع بن سليمان فيقول: كان الشافعى - رحمه الله تعالى - يجلس فى حلقة إذا صلى الصبح، فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه فى تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا، فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار، ثم ينصرف - رحمه الله تعالى -.

١٠ - ٢ - حبه للتصنيف:

كان للإمام الشافعى تعلق فكرى عجيب فى مسائله، فلا يزال ذهنه متفكراً فى المسائل، حتى ربما يعرض له المعنى اللطيف ليلاً فيأمر بالمصباح فيوقد ليسارع بكتابة ما ظهر له خشية أن ينساه.

يقول الحميدى: خرجت مع الشافعى إلى مصر، وكان هو ساكناً فى العلو، ونحن فى الأوساط، فربما خرجت فى بعض الليل، فأصبح بالغلام - يعنى الخادم - فيسمع الشافعى صوتى فيقول: بحقى عليك أرق، فأرقى، فإذا قرطاس ودواة؛ فأقول: مه؛ يا أبا عبد الله. فيقول: فتفكرت فى معنى حديث - أو فى مسألة - فخفت أن يذهب على، فأمرت بالمصباح وكتبته.

وكان الإمام الشافعى رحمه الله تعالى يقسم ليله ثلاثة أثلاث، فى الأول يكتب، وفى الثانى ينام، وفى الثالث يصلى.

للشافعي مناظرات ممتعة، تظهر فيها قدرات الشافعي العقلية، والعلمية، كما تظهر حبه للإنصاف.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ، وما في قلبي من علم إلا وددت أنه عند كل أحد، ولا ينسب إلي.

ويحلف الشافعي يوماً ويقول: ما ناظرت أحداً إلا على النصيحة.

ولكن كان الشافعي مدركاً لمنزلته العلمية تمام الإدراك، لا يظلم نفسه، ولا يضعها في غير منزلتها، فما كان يقبل مناظرة أي أحد، ويشترط أن يكون مناظره قريباً منه في الدرجة العلمية.

قال له الفضل بن الربيع حاجب هارون الرشيد: أحب أن أسمع مناظرتك للحسن بن زياد اللؤلؤي.

قال الشافعي: ليس اللؤلؤي في هذا الحد، ولكن أحضر بعض أصحابي، حتى يكلمه بحضرتك.

فقال: أو ذاك.

فحضر الشافعي، وأحضر معه رجلاً من أصحابه كوفياً كان ينتحل قول أبي حنيفة وصار من أصحابه. فلما دخل اللؤلؤي أقبل عليه، والشافعي حاضر بحضرة الفضل بن الربيع، فقال له: إن أهل المدينة ينكرون على أصحابنا بعض قولهم، وأريد أن أسأل عن مسألة من ذلك.

فقال اللؤلؤي: سل.

فقال له: ما تقول في رجل قذف محصنة، وهو في الصلاة؟

قال: اللؤلؤى: صلاته فاسدة.

فقال له: فما حال طهارته؟

فقال اللؤلؤى: طهارته بجأها، ولا ينقض قذف طهارته.

فقال له: فما تقول إن ضحك فى صلاته؟

قال اللؤلؤى: يعيد الطهارة والصلاة.

فقال له: فقذف المحصنة فى الصلاة أيسر من الضحك فيها؟

فقال اللؤلؤى: وقفنا فى هذا، ثم وثب فمضى. فاستضحك

الفضل بن الربيع. فقال له الشافعى: ألم أقل إنه ليس فى هذا الحد.

١١ - صفاته:

١١ - ١ - تكوينه النفسى:

١ - قرشيته: لعل من أول المؤثرات فى تكوين شخصية الإمام الشافعى كونه من قريش، وقد رأينا كيف أن قرشيته هى التى دفعت بوالدته كى ترحل به مبكراً إلى مكة كى ينشأ فى وسط أقرانه من قريش على ذات الصفات والأخلاق والوسط الاجتماعى والثقافى والسياسى والاقتصادى قبل الإسلام، ثم تعضد هذا الوضع وامتداده بعد الإسلام بخروج النبى ﷺ من قريش، ثم توالى الخلفاء الراشدون ثم الدولة الأموية، ثم الدولة العباسية وجميعهم ينتسبون إلى أرقى بيوتات قريش وأقواها.

ولا ريب أن من كان هذا نسبه فإنه يؤثر فى تكوينه تأثيراً لا ينكر.

ومن الطبيعى أن القريشيين كانوا محل حسد وغيره بسبب مكانتهم

الاجتماعية المتميزة.

يحكى لنا الحميدى عن نفسه ما يوضح لنا ذلك، فى قصة طريفة عن أول مجلس حضره للإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - يقول الحميدى: جلسنا إلى الشافعي، ودارت مسائل، فلما قمنا قال لى أحمد ابن حنبل: كيف رأيت فجعلت أتبع ما كان أخطأ فيه، وكان ذلك منى بالقرشية (يعنى من الحسد). فقال لى أحمد بن حنبل: فأنت لا ترضى أن يكون رجل من قريش يكون له هذه المعرفة وهذا البيان، وتمرُّ مائة مسألة يخطئ خمساً أو عشرأ؛ اترك ما أخطأ، وخذ ما أصاب.

يقول الربيع بن سليمان: كان الشافعي عربى النفس عربى اللسان.

وكانت قرشية الشافعي أحد دعائم تكوينه النفسى، ناظر ذات يوم محمد بن

الحسن فغلبه، بحضور هرثمة بن أعين أحد خواص قواد هارون الرشيد، فكتب هرثمة الخبر، ودخل به على هارون الرشيد، فقال: أكان يأمن محمد بن الحسن أن يقطعه رجل من بنى عبد مناف؟ فاخرج إلى الشافعي وأقرئه سلامى، وقل له: إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسة آلاف دينار، وعجلها لك من بيت مال الحضرة. قال الشافعي: فخرج هرثمة، وأقرأنى سلامه، وقال: إن أمير المؤمنين قد أمر بخمسة آلاف دينار. وقال هرثمة: لولا أن أمير المؤمنين لا يساوى؛ لأمرت لك بمثلها، ولكن الق غلامى فاقبض منه أربعة آلاف دينار. فقال الشافعي: جزاك الله خيراً، لولا أنى لا أقبل جائزة إلا ممن هو فوقى لقبلى جائزتك، ولكن عجل لى ما أمر به أمير المؤمنين. فانظر كيف امتنع الشافعي - رحمه الله تعالى - من قبول جائزة هرثمة بسبب قرشيته، وحيث لم يكن هرثمة من قريش، وقبلها من هارون الرشيد لكونه أعلى نسباً منه.

٢ - الجماعة العلمية: للجماعة العلمية أثر كبير فى تكوين المتسبب إليها، ولا يقتصر الأثر على الجانب العلمى وحده، بل يمتد ليشمل كافة الجوانب الأخرى وخاصة الأخلاقية التى تمتاز بها الجماعة. وإذا نظرنا إلى الجماعة العلمية فى عصر الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فسنجد الكثير من الصفات والميزات العامة التى تركت أثرها الكبير فى شخصية الإمام الشافعى رحمه الله تعالى، ولا شك أن هناك الكثير من المواقف الحياتية التى عبرت من خلالها تلك الجماعة عن شخصيتها.

ولقد حكى لنا الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - نفسه العديد من تلك المواقف، وحكايته لها دليل على تأثيرها فيه، حتى أنه اعتنى بحكايتها وروايتها لتلاميذه.

فمن ذلك ما رواه الشافعى قال: حدثنى عمى محمد بن على قال: إنى لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور، وفيه ابن أبى ذئب (وهو أحد حفاظ الحديث البارزين)، والحسن بن زيد والى المدينة، فأتى الغفاريون (قبيلة من العرب منها أبو ذر الغفارى رضى الله عنه) فشكوا إليه شيئاً من أمر الحسن. فقال: يا أمير المؤمنين، سل فيهم ابن أبى ذئب؛ فسأله؛ فقال: أشهد أنهم أهل تحكم فى أعراض المسلمين، كثيرو الأذى لهم. فقال أبو جعفر: قد سمعتم. فقالوا: سله عن الحسن. فقال: ما تقول فيه؟ فقال: أشهد أنه: يحكم بغير الحق، ويتبع هواه. قال محمد: فجمعت ثيابى، والسياف قائم على رأس أبى جعفر مخافة أن يأمر به فيقتل، فيصيب دمه ثوبى. فقال: أبو جعفر: قد سمعت يا حسن ما قاله. فقال: سله عن نفسك. فقال أبو جعفر لابن أبى ذئب: فما تقول فى؟ قال: أو يعفينى أمير المؤمنين. فقال: والله لتخبرنى. فقال: أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه،

وجعلته في غير أهله. فجاء أبو جعفر من موضعه؛ حتى وضع يده في قفاه. قال محمد: فجمعت ثيابي مخافة أن يأمر به، فيصيب دمه ثوبى. ثم قال أبو جعفر: أما والله لولا أنا لأخذت أبناء فارس والروم والترك والديلم بهذا المكان منك. فقال: قد ولى أبو بكر وعمر: فأخذوا بالحق، وقسما بالسوية، وأخذوا بأقفاء فارس والروم، وأصغروا آناهم. فخلى أبو جعفر قفاه، وأطلق سبيله، وقال: والله لولا أعلم أنك صادق لقتلتك. فقال ابن أبي ذئب لأبى جعفر: أنا والله أنصح لك من المهدي (يعنى ابنه).

ويروى الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أن محمد بن عجلان (أحد كبار رواة الحديث) كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. قال: فخطب إلى المدينة يوماً فأطال الخطبة، فلما نزل وصلى: صاح به ابن عجلان فقال: يا هذا اتق الله: تطيل بيانك وكلامك على منبر رسول الله ﷺ. فأمر به فحبس فأخبر ابن أبي ذئب، فدخل على الوالى، وقال: حبست ابن عجلان؟! فقال: ما يكفيه أنه يأمرنا فيما بيننا وبينه، فنصير إلى ما يأمرنا؛ حتى يصيح بنا على رؤوس الناس؛ فنستضعف. فقال ابن أبي ذئب: ابن عجلان أحق أم حق؛ هو يراك تأكل الحرام وتلبس الحرام (يعنى ولا ينهك عن ذلك)، ويقول: لا تطل بيانك وكلامك على منبر رسول الله ﷺ. فقال الوالى: أخرجوا ابن عجلان ما عليه من سبيل.

ويحكى الإمام الشافعي رحمه الله تعالى عن سفيان الثوري أنه دخل على أمير المؤمنين، فجعل يتجان عليهم، ويمسح البساط، ويقول: ما أحسنه، ما أحسنه، بكم أخذتم هذا. ثم قال: البول البول، حتى أخرج.

فالإمام الثوري كان لا يحب الدخول على السلطان، فأراد أن

يحتال بما فعل ليعتقدوا فيه الجنون، فيزهدوا فيه، ويتباعد عنهم.
ويقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: سمعت مالك بن أنس
يقول: سمعت ابن عجلان يقول: إذا أغفل العالم (لا أدري): أصيبت
مقاتله.

ويحكى الشافعي موقفاً من مواقف الجود الذي كان من أخص
صفاته، فيقول: عاتب رجاء بن حيوة الزهرى فى الإنفاق والدين
(وكان الزهرى يستدين لينفق على أصحابه، وينفق فى وجوه البر)
فقال: لا تأمن من أن يمسك عنك هؤلاء القوم؛ فتكون قد حملت
على أمانتك، فوعده أن يقصر. فمر به رجاء ابن حيوة يوماً وقد
وضع الطعام، ونصب موائد العسل. فقال له رجاء: هذا الذى افترقنا
عليه؟ فقال له الزهرى: أنزل؛ فإن السخى لا تؤدبه التجارب.

١١ - ٢ - بيان بعض من صفاته رحمه الله تعالى:

١ - علو الهمة:

كان الإمام الشافعي عالى الهمة إلى الغاية منها.

فمن ذلك ما يحكيه الحميدى: خرجت مع الشافعي إلى مصر،
وكان هو ساكناً فى العلو، ونحن فى الأوساط، فربما خرجت فى
بعض الليل، فأرى المصباح؛ فأصيح بالغلام - يعنى الخادم - فيسمع
الشافعي صوتى فيقول: بحقى عليك أرق، فأرقى، فإذا قرطاس
ودواة؛ فأقول: مه يا أبا عبد الله. فيقول: تفكرت فى معنى حديث -
أو فى مسألة - فخفت أن يذهب علىّ، فأمرت بالمصباح وكتبته.

٢ - لطفه بأصحابه:

كان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى لطيفاً بأصحابه رقيق الحاشية،
وكان لأصحابه تعلق كبير به، يرحلون معه إذا رحل ويسكن كثير

منهم حوله وبالقرب منه، حتى لا يفوتهم منه شئ. وفيما حكاه لنا الحميدى فى النقطة السابقة ما يوضح لنا طرفاً من ذلك.

٣ - صلاحه ووجهه للصالحين:

كان الشافعى من كبار الصالحين والعباد، لا يترك قيام الليل، فكان يقسم ليله ثلاثاً، ثلث يصلى، وثلث يؤلف، ثلث ينام.

وكان له مع صالحى أهل زمانه ودّ وأنس.

أرسل يوماً تلميذه حرملة إلى إدريس بن يحيى العابد مالك والمتوفى بمصر سنة (٢١١)، وقال لحرملة: قل له يدعوا الله لى.

٤ - عبادته:

كان الشافعى رحمه الله تعالى كثير العبادة محباً للصلاة، وتلاوة القرآن، وقيام الليل، يحدثنا الربيع بن سليمان المرادى عن صلاة شيخه الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فى رمضان فيقول: كان الشافعى يختم القرآن فى شهر رمضان ستين مرة، كل ذلك فى صلاة.

يقول الإمام الحسين الكرابيىسى: بت مع الشافعى ثمانين ليلة، وكان يصلى نحو ثلث الليل، فما رأيته يزيد على الخمسين آية، فإذا كثر فمائة، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه، وللمؤمنين أجمعين، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ بالله منها، وسأل النجاة لنفسه ولجميع المؤمنين، وكان جمع فيه الخوف والرجاء معاً.

٥ - ورعه:

أراد الشافعى الخروج إلى مكة، فأسلم إلى قصار (يعنى: خياط) ثياباً بغدادية مرتفعة الثمن، فوقع حريق، فاحترق دكان القصار

والثياب، فجاء القصَّار ومعه قوم يتحمل بهم على الشافعي في تأخيرهِ ليدفع إليه قيمة الثياب. فقال له الشافعي: قد اختلف أهل العلم في تضمين القصَّار، ولم أتبين أن الضمان يجب، فلست أضمنك شيئاً.

ودخل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يوماً على خادم للرشيد وهو في بيت قد فرش بالديباج، فلما وضع الشافعي رجله على العتبة أبصره، فرجع ولم يدخل. فقال له الخادم: أدخل. فقال الشافعي: لا يحل افتراش هذا.

٦ - تواضعه:

كان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى متواضعاً، لا يحب الشهرة، ولا يحب الثناء على ما كان معه من العلم، على رغم ما كان فيه من الشهرة الواسعة.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: وددت أن كل علم أعلمه تعلمه الناس: أوجر^(١) عليه، ولا يحمدوني.

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ، وما في قلبي من علم إلا وددت أنه عند كل أحد، ولا ينسب إلي.

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى للإمام أحمد بن حنبل: أنتم أعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث صحيحاً فأعلموني.

ومع هذا فيقول الإمام أحمد: ما استفاد منا أكثر مما استفدنا منه.

ومع تواضع الشافعي فإنه ما كان يريق وجهه لكل أحد، وقد

(١) كانت لغة الشافعي تسهيل المهموز أي النطق بها من غير همزة فكلمة أوجر يعنى أوجر.

تقدم رفضه قبول جائزة هرثمة بن أعين.

كما كان الشافعي مدركاً لمنزلته العلمية تمام الإدراك، لا يظلم نفسه، ولا يضعها في غير منزلتها، وقد ذكرنا في مناظرات الشافعي أنه ما كان يقبل مناظرة أي أحد، ويشترط أن يكون مناظره نظيراً له في الدرجة العلمية.

٧ - هيئته:

كانت للشافعي هيئة، دخلت البيت ذات يوم مرضعة لبعض أهله، معها طفل لها، وكان الشافعي نائماً وقت القيلولة، فبكى الصبي، فخافت أن يستيقظ الشافعي، وكانت له هيئة فوضعت يدها على فم الصبي وخرجت مبادرة، وكان بعيداً، فلم تبلغ الباب حتى اضطرب الصبي. فلما استيقظ الشافعي قال له بعض أهله يمزحون معه: ويحك يا ابن إدريس كدت تقتل اليوم نفساً فاحمر^(١) وانتفخ وجعل يقول: وكيف ذلك. فأخبروه بالخبر، فحلف^(٢) أن لا يقلل مدة طويلة إلا والرحى عند رأسه تصحن، وكان إذا أراد أن يقلل جئ بالرحى حتى تطحن عند رأسه.

٨ - جوده:

كان الشافعي - رحمه الله تعالى - من أجواد الناس، يكاد لا يمسك شيئاً من كرمه وجوده، وله في الجود مواقف كثيرة.

دخل عليه رسول من هارون الرشيد وقال: قد أمر لك بخمسة

(١) أي أصبح وجهه أحمر اللون من الفزع

(٢) الظاهر أن حلف الشافعي كان بالله إذا لا يجوز الحلف بغيره سبحانه فكيف يتفق هذا مع ما اشتهر عنه بأنه قال: ما حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً؟ أم إن هذه الكلمة غير ثابتة عنه؟ فليحذر.

آلاف دينار. فحمل إليه المال، فدعا الشافعي بالحجّام، فأخذ من شعره، وأعطاه خمسين ديناراً. ثم أخذ رقاعاً، وصر من تلك الدنانير صرراً، ففرقها في القرشيين الذين هم بالحضرة، ومن هم بمكة، حتى ما رجع إلى بيته إلا بأقل من مائة دينار.

يحكى أبو ثور أن الشافعي أراد الخروج إلى مكة، ومعه مال، فقلت له - ولما كان يمسك الشيء من سماحته - : ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك من بعدك فخرج، ثم قدم علينا فسأله عن ذلك المال: ما فعل به. فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها؛ لمعرفتي بأصلها: أكثرها قد وقفت على البيت الحرام، ولكن قد بسطنا مضرباً بمنى يكون أصحابنا إذا حجوا ينزلون فيه.

ويقول الربيع بن سليمان: تزوجت فسألني الشافعي: كم أصدقته؟ فقلت: ثلاثين ديناراً. فقال: كم أعطيتها؟ قلت: ستة دنانير فصعد داره، وأرسل إلى بصرة فيها أربعة وعشرون ديناراً.

ويقول محمد بن عبد الله بن الحكم: كان الشافعي أسخى الناس بما يجده، وكان يمر بنا، فإن وجدني، وإلا قال: قولي لمحمد - إذا جاء - يأتي المنزل؛ فإني لست أتعدى حتى يجيء.

ويقول عمرو بن سواد السرحي: كان الشافعي أسخى الناس على الدينار والدرهم والطعام. وقال لي الشافعي: أفلس في عمري ثلاث إفلاسات، فكنت أبيع قليلى وكثيرى، حتى حلى ابنتى وزوجتى.

٩ - تقلله من المطعم والمشرب: يقول الشافعي - رحمه الله تعالى: ما شبت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة، أطرحتها؛ لأن الشبع يثقل البدن، ويقسى القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة.

كان الشافعى على درجة عالية من الفراسة والذكاء، ودقة الملاحظة لما حوله.

كان يقول: إذا رأيت الكتاب فى إلحاق وإصلاح فاشهدوا له بالصحة.

وذلك لأن من نسخ كتاباً فلا بد من أن يخطئ فيه، فإذا راجعه واكتشف خطأه أصلحه وألحق ما فاته بالهامش، وأما من لم يرجع فيأتى كتابه خالياً من الإصلاح والإلحاق، فيبقى خطؤه على حاله، وهذا من ذكاء الشافعى وحسن إدراكه للواقع، وصحة تصوره للأمور.

وكان الشافعى - رحمه الله تعالى - ولعاً بالفراسة، وكتبها، ويحكى عن نفسه فيقول: خرجت إلى اليمن فى طلب كتب الفراسة، حتى كتبتها وجمعتها، ثم لما حان انصرافى مررت على رجل فى طريقى، وهو محتب بفناء داره أزرق العينين، ناتئ الجبهة، سناط (أى لا لحية له) فقلت له: هل من منزل؟ فقال: نعم. قال الشافعى: وهذا النعت أخبر ما يكون فى الفراسة. فأنزلنى، فرأيت أكرم رجل: بعث إلى بعشاء وطيب، وعلف لدابتى، وفراش ولحاف. فجعلت أتقلب الليل أجمع، ما أصنع بهذه الكتب؛ إذ رأيت هذا النعت فى هذا الرجل، فرأيت أكرم رجل، فقلت: ارم بهذه الكتب. فلما أصبحت قلت للغلام: أسرج أسرج، فركبت، ومررت عليه، وقلت له: إذا قدمت مكة، ومررت بذى طوى فسل عن منزل محمد بن إدريس الشافعى. فقال لى الرجل: أمولى لأبيك أنا. قلت: لا. فهل لك عندى من نعمة؟ قلت: لا. فقال: أين ما تكلفت لك البارحة. قلت: وما هو. قال: اشتريت لك طعاماً بدرهمين، وإداماً بكذا، وعطراً بثلاثة

دراهم، وعلفاً لدابتك بدرهمين، وكراء الفراش واللحاف درهمان. قلت: يا غلام أعطه، فهل بقى من شئ؟ قال: كراء المنزل، فلمنى وسعت عليك، وضيق على نفسى. قال الشافعى: فغبطت نفسى بتلك الكتب، فقلت له بعد ذلك: هل بقى من شئ؟ قال: امض أخزأك الله، فما رأيت قطاً شراً منك.

وكان الشافعى يقول: إذا أردت أن تعرف الرجل: أكتب هو، فانظر أين يضع دواته، فإن وضعها عن شماله أو بين يديه فاعلم أنه ليس بكاتب.

يعنى أنه ليس بكاتب محترف، لأنه وضع دواة الحبر بعيداً عن يده اليمنى، فيكون أشق عليه، وأبعد. وربما سقط الحبر من الريشة أثناء هذه المسافة، كما أنه ربما أصاب يده اليسرى الدواة فقلبها، وإذا وضع الدواة أمام الكتاب بين يديه ربما تزعج الكتاب أثناء عملية الكتابة فقلب الدواة، كما أن الدواة تلقى بظلها على الكتاب فتحجب الضوء عنه؛ ولهذا فإن أفضل موضع للدواة أن تكون عن يمين الكاتب.

١١ - شغفه بدراسة المجتمع من حوله:

كان الإمام الشافعى رحمه الله تعالى ولعاً بدراسة الظاهرة الاجتماعية من حوله، دائم السعى لفهم شخصيات المجتمع ونماذجه، وله فى ذلك مواقف كثيرة.

فمن ذلك قوله: احذر الأعور والأحول والأعرج والأحذب والأشقر والكوسج وكل من به عاهة فى بدنه، وكل ناقص الخلق؛ فإنه صاحب التواء ومعاملته عسرة.

ويقول: ما رأيت سميناً عاقلاً قط إلا رجلاً واحداً. يريد محمد بن

الحسن صاحب أبى حنيفة فقد كان سميناً. ويقول: ما أفلح سمين قط، إلا أن يكون محمد بن الحسن. قيل له: ولم؟ قال: لأن العاقل لا يخلو من إحدى خلتين: إما أن يغتم لآخرته ومعاده، أو يغتم لندياه ومعاشه. والشحم مع الغم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنين صار فى حد البهائم، فينعقد الشحم.

ويلاحظ الشافعى أثر زواج الأقارب على ضعف النسل فيقول: ليس قوم لا يخرجون نساءهم إلى رجال غيرهم فى التزويج، ولا رجالهم إلى نساء غيرهم فى التزويج إلا جاء أولادهم حمقى.

١٢ - فصاحته:

كان الشافعى من أفصح الناس، وأعلم بلغات العرب، حتى عدوه ممن تؤخذ عنه اللغة.

وقد خرج الشافعى - كما يحكى عن نفسه - إلى قبيلة هذيل بالبادية، ليتعلم كلامها، ويأخذ طبعها العربى، وكانت أفصح العرب.

يقول ابن هشام صاحب المغازى وكان بصيراً بالعريية: الشافعى ممن تؤخذ عنه اللغة.

ويقول الإمام أحمد: كان الشافعى من أفصح الناس، وكان مالك يعجبه قراءته؛ لأنه كان فصيحاً.

ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام (أحد كبار الأئمة): كان الشافعى ممن يؤخذ عنه اللغة.

ويقول أحمد بن أبى سريج: ما رأيت أحداً أفوه، ولا أنطق من الشافعى.

ويقول الجاحظ: نظرت فى كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا فى

العلم، فلم أر أحسن تأليفاً من المطلبى، كأن كلامه ينظم دُرّاً إلى دُرٍّ.
وكان الشافعي يقول: أصحاب العربية جن الإنس يبصرون ما لا
يبصر غيرهم.

يعنى أنهم يفهمون من أسرار النصوص القرآنية والنبوية ما لا
يفهم غيرهم لمعرفة أسرار اللغة العربية ودقائقها.

١٣ - مواعظه وحكمه:

للشافعي مواعظ بالغة، وأشعار رقيقة تدل على ما كان ينطوى
عليه قلبه من الصلاح والتقوى وعلى ما كان يمتاز به من العقل
والحكمة.

فمن ذلك أنه حضر ميتاً يوماً، فلما سُجِّي عليه، نظر إليه فقال:
اللهم بغناك عنه، وفقره إليك اغفر له.

وعاتب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ابنه يوماً، وكان فيما قال له
فوعظه به: يا بني والله لو علمت أن الماء البارد يثلج من مروءتى شيئاً
- ما شربت إلا حاراً.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: إن للعقل حداً ينتهى إليه،
كما أن للبصر حداً ينتهى إليه.

وقال رحمه الله تعالى: سياسة الناس أشد من سياسة الدواب.

وقال رحمه الله تعالى: اعلم أنه ليس إلى السلامة من الناس سبيل،
فانظر الذى فيه صلاحك فالزمه.

وقال رحمه الله تعالى: لا تسكنن بلداً لا يكون فيه عالم يفتيك عن
دينك، ولا طبيب ينبئك عن أمر بدنك.

وأنشد الشافعي:

ولا تعطين الرأي من لا يريدُه فلا أنت محمودُ، ولا الرأي نافعُه
١٤ - هواياته:

يقول الإمام الشافعي عن نفسه: كانت نهمتي في شيئين: في
الرمي، وطلب العلم، فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من عشرة
عشرة وسكت عن العلم وهو فيه كذلك بل أكثر.

١٢ - وفاته رحمه الله:

١٢ - ١ - مرض الوفاة:

مرض الإمام الشافعي رحمه الله تعالى مرضاً شديداً، وكانت علته
بالبواسير، فاشتدت عليه علته.

ويحكى تلميذه يونس بن عبد الأعلى: ما رأينا أحداً لقي من
السقم ما لقي الشافعي، فدخلت عليه فقال لي: يا أبا موسى اقرأ عليّ
ما بعد العشرين والمائة من آل عمران، وأخف القراءة، ولا تثقل،
فقرأت عليه، فلما أردت القيام. قال: لا تغفل عني، فإني مكروب.

وذكر الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ما وضع من كتبه في مرضه
فقال: لوددت أن الخلق تعلمه ولم ينسب إلي منه شيء أبداً.

ويقول المزني: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه.
فقلت: كيف أصبحت يا أستاذ؟

فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولأخواني مفارقاً، ولكأس المنية
شارباً، وعلى الله وارداً، ولسواء عملي ملاقياً، فوالله ما أدرى
أروحي تصير إلى الجنة، أو إلى النار، فأعزيها. ثم رمى بطرفه إلى
السما، واستعبر وأنشد:

إليك إله الخلق أرفعُ رغبتي وإن كنتُ يا ذا المن والجود مجرماً
تعاظمني ذنبي فلما قرئته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلماً
فما زلت ذا عفو عن الذنب لن تنزل تجود وتعفو منة وتكرماً
فلولاك لم يقدر إبليس عابداً فكيف وقد أغوى صفيك آدماء

يقول الربيع بن سليمان: لما كان مع المغرب ليلة مات الشافعي قال له ابن عمه: تنزل حتى نصلي. فقال: تجلسون تنتظرون خروج نفسي؟! فنزلنا، ثم صعدنا، فقلنا له: صليت أصلحك الله؟ قال: نعم. وتوفى رحمه الله تعالى مع العشاء الآخرة.

١٢ - ٢ - وفاته:

توفى رحمه الله كما يحكى تلميذه الربيع بن سليمان: ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة بعد ما صلى المغرب، آخر يوم من رجب، ودفناه يوم الجمعة، فانصرفوا، فأوا هلال شعبان سنة أربع ومائتين. فيكون رحمه الله عاش أربعاً وخمسين سنة.

* * *

الباب الثاني

طريقة العراقيين

وطريقة الخراسانيين

كان للإمام الشافعي رحمه الله تعالى تلامذة نشروا مذهبه في بغداد في العراق، وآخرون نشروا مذهبه في خراسان، وآخرون نشروا مذهبه في مصر، وأصبحت هناك طريقتان كبيرتان في العالم، طريقة الخراسانيين وطريقة العراقيين في تناول مذهب الإمام الشافعي.

وبدأت كل طريقة في التميز عن أختها ابتداءً من أصحاب الشافعي كما سنذكره، وأصبح لكل فريق طريقة معينة في التفكير الفقهي، وفي الاستنباط، وفي الأصول، إلا أنهما يعملان سوياً من خلال أصول الشافعي بالجملة، وظل الحال هكذا إلى أن وصلنا إلى اتحاد الطريقتين مرة أخرى في تلامذة القفال المروزي.

وأخذت الطريقتان تتلاشيان حتى انتهتا تماماً في عصر الإمام الرافعي، ومن بعده الإمام النووي، ولم يعد بعد ذلك ما يذكر في هذه العصور من الفرق بين طريقة أصحابنا الخراسانيين وأصحابنا العراقيين.

وهذه الصورة مذهب للمذهب نجدها عند الإمام النووي حينما ذكر سلسلة التفقه التي تلقاها في الفقه الشافعي.

سلسلة المذهب الشافعي:

يقول الإمام النووي - رحمه الله تعالى: فأما أنا فأخذت الفقه قراءة

وتصحيحاً وسماعاً وشرحاً وتعليقاً عن جماعات أولهم شيخى الإمام أبو إبراهيم إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربى ثم المقدسى - رضى الله عنه - ، ثم شيخنا أبو عبد الرحمن بن نوح بن محمد بن إبراهيم المقدسى، ثم الدمشقى مفتى دمشق، ثم شيخنا أبو حفص عمر بن أسعد بن أبى طالب الربعى، ثم الأربلى، وتفقه شيوخنا على الإمام أبى عمرو بن الصلاح، وتفقه هو على والده فأخذ عنه الطريقتين.

أما طريقة العراقيين: فعلى أبى سعيد عبد الله بن محمد بن هبة الله ابن على بن أبى عسرون الموسوى، وتفقه أبو سعيد على القاضى أبى على الفارقى، وتفقه الفارقى على الشيخ أبى إسحاق الشيرازى، الذى تفقه على القاضى أبى الطيب الطبرى طاهر بن عبد الله، وأبو الطيب تفقه على أبى الحسن الماسرجسى محمد بن على بن سهل بن مصلح، وتفقه أبو الحسن الماسرجسى على أبى إسحاق المروزى إبراهيم بن أحمد، وتفقه المروزى على ابن سريج، وهو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج، وتفقه ابن سريج على أبى القاسم عثمان بن باشر الأنماطى، وتفقه الأنماطى على المزنى، أبى إبراهيم إسماعيل بن يحيى، وتفقه المزنى على الإمام الشافعى.

وتفقه الإمام الشافعى على جماعة منهم: مالك بن أنس، والإمام سفيان بن عيينة، والإمام أبو خالد مسلم بن خالد الزنجى. أما الإمام مالك: فتفقه على ربيعة الراى عن أنس، وعلى نافع عن ابن عمر.

وأما الإمام سفيان بن عيينة فعلى: عمرو بن دينار عن ابن عمر، وابن عباس - رضى الله عنهما - .

وأما الإمام أبو خالد مسلم بن خالد الزنجى: فعلى عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس.

وأخذ ابن عباس عن النبي ﷺ، وعن جماعات من الصحابة منهم: عمر بن الخطاب، وعلي، وزيد بن ثابت رضى الله عنهم جميعاً عن سيدنا رسول الله ﷺ.

يقول الإمام النووي: وأما طريقة أصحابنا الخراسانيين، فأخذتها عن شيوخنا المذكورين عن ابن الصلاح عن والده عن أبى القاسم ابن البزرى الجزرى عن إلكيا الهراسى أبى الحسن على بن محمد بن على، والذي تفقه على إمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى عن والده أبى محمد الجوينى عن القفال المروزى الصغير، والذي تفقه على أبى زيد المروزى محمد بن أحمد بن عبد الله، وأخذ أبو زيد عن أبى إسحاق المروزى عن ابن سريج على ما سبق.

ومن هنا يتبين لنا أن ابن الصلاح كان قد تلقى الطريقتين، وأن طريقة العراقيين والخراسانيين مازالتا تدرسا حتى عصر ابن الصلاح الذى جمع بينهما كما جمع بينهما قبل ذلك أبو إسحاق المروزى أيضاً. وأبو إسحاق المروزى هو: إبراهيم بن أحمد صاحب الشرح قال عنه الإمام النووي: وحيث أطلق أبو إسحاق فى المذهب فهو المروزى، كان إماماً جليلاً غواصاً على المعانى ورعاً زاهداً، وهو إمام جماهير أصحابنا، وشيخ المذهب، وإليه تنتهى طريقة أصحابنا العراقيين والخراسانيين - كما قدمنا فى سلسلة الفقه - تفقه على أبى العباس بن سريج، وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد، وانتشر العلم عن أصحابه فى البلاد، شرح المختصر (يعنى مختصر المزنى)، وصنف فى الأصول، ونشر مذهب الشافعى فى العراق، وسائر الأمصار، وأخذ عنه الأئمة، وانتشر الفقه من أصحابه فى البلاد، وخرج إلى مصر آخر عمره.

قال العبادي: وقعد في مجلس الشافعي بمصر سنة القرامطة، واجتمع عليه الناس، وضربوا إليه أكباد الإبل، وسار في الآفاق عن مجلسه سبعون إماماً من أصحاب الشافعي، وتوفي بها سنة ٣٤٠هـ.

طبقات الخراسانيين:

إذا ألقينا الضوء على خراسان نجد أن مدائن خراسان كانت أربعة: نيسابور، وهراة وبلخ، ومرو، ومرو أعظمها ولهذا يعبر أصحابنا بالخراسانيين تارة وبالمرأوزة أخرى، والمراد بمرو إذا أطلقت مرو الشاهقجان، والشاهقجان معناه روح الملك.

وأما مرو الروذ فإنها تستعمل مقيدة، والروذ هو النهر بلغة فارس، والنسبة إلى مرو: المروزي، وإلى مرو الروذ المروذي، وقد تخفف إلى المروذي.

والشافعية بخراسان كانت الطبقة الأولى منهم هي طبقة أصحاب الشافعي: منهم إسحاق بن راهوية الحنظلي، ومنهم حامد بن يحيى ابن هانئ البلخي، وقد أخذ عن الشافعي، وأكثر عن سفيان بن عيينة، ومات ٢٠٢هـ في حياة الشافعي، ومنهم أبو سعيد الأصفهاني الحسن بن محمد بن يزيد، وهو أول من حمل علم الشافعي إلى أصفهان، ومنهم أبو الحسين النيسابوري علي بن سلمة بن شقيق، ومات سنة ٢٥٢هـ.

والطبقة الثانية طبقة تلامذتهم، وعلى رأسهم: أبو بكر بن إسحاق ابن خزيمة صاحب الصحيح، ومنهم أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي، الذي ولد ببغداد سنة ٢٠٢هـ، ونشأ بنيسابور، وتفقه بمصر على أصحاب الشافعي، وسكن بسمرقند إلى أن توفي سنة ٢٩٤هـ ومنهم أبو محمد المروزي عبدان بن محمد بن عيسى، تفقه على المزني،

ومنهم أبو عاصم فضيل بن محمد الفضيلي الكبير الفقيه، فقيه هراة ومفتيها، ومنهم أبو الحسن الصابوني، ومنهم أبو سعيد الدارمي، ومنهم أبو عمرو الخفاف رئيس نيسابور، ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العبدى البوشنجي.

ثم بعد ذلك تلتهم طبقة ثالثة هي طبقة تلامذة هؤلاء، وعلى رأسهم: أبو علي الثقفي، وأبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الصبغى، وأبو بكر الممودى المروزى، وأبو الفضل يعقوب بن إسحاق بن محمود الهروى.

ثم بعد ذلك تلتهم طبقة رابعة هي تلامذة الطبقة الثالثة، ومنهم أبو إسحاق المروزى تلميذ بن سريج، والذي تلتقى عنده سلسلة الطريقتين كما ذكرنا عن النووى سابقاً، ومنهم أيضاً أبو الوليد حسان بن محمد القرشى النيسابورى، ومنهم أبو الحسين النسوى، ومنهم أبو بكر البيهقى، ومنهم أبو منصور عبد الله بن مهران، وهو من أكابر أصحاب الوجوه.

وتأتى بعد ذلك الطبقة الخامسة، وعلى رأسهم: أبو زيد المروزى، وأبو سهل الصعلوكى، وأبو العباس الهروى، وأبو حفص الهروى وغيرهم.

وهكذا تأتى الطبقة السادسة من تلامذتهم، وعلى رأسهم: أبو بكر القفال المروزى شيخ الطريقة، وأبو الطيب الصعلوكى، وأبو يعقوب الأيووردى، وأبو إسحاق الإسفرايينى.

ثم تأتى الطبقة السابعة، وعلى رأسهم: القاضى الحسين، وأبو على السنجى، وأبو بكر الصيدلانى.

ثم تأتى الطبقة الثامنة من الخراسانيين، وعلى رأسهم: إمام

الحرمين والذي ألف كتابه الكبير ((نهاية المطلب فى دراية المذهب)) وسرى كيف أنه كان بداية لسلسلة كتب الشافعية.

ثم تأتى الطبقة التاسعة، وهى من أواخر طبقات هذه السلسلة، فمنهم إلكيا الهراسى، وأبو سعد المتولى، ومحيى السنة البغوى، والرويانى، ومنهم أيضاً إمام الحرمين، حجة الإسلام الغزالى.

كتب الخراسانيين:

هناك الكثير من كتب الخراسانيين، أشهرها مصنفات أبى على السنجى الذى شرح مختصر المزنى، والذي سماه إمام الحرمين بالمذهب الكبير، وأيضاً شرح تلخيص ابن القاص، وشرح فروع ابن حداد، التى اهتم الخراسانيون بشرحها كثيراً.

قال النووى: واعلم أنه متى أطلق القاضى فى كتب متأخرى الخراسانيين كالنهاية والتتمة والتهذيب وكتب الغزالى ونحوها فالمراد القاضى الحسين، ومتى أطلق القاضى فى كتب متوسطى العراقيين فالمراد القاضى أبو حامد المروذى. وقال ابن السبكى: ومن كتب الخراسانيين وأتباعهم: تعليقة القاضى حسين، والفتاوى له، والسلسلة للجوينى، والجمع والفرق له، والنهاية لإمام الحرمين، والتهذيب للبغوى، والإبانة للفورانى، والعمدة للفورانى أيضاً، وتتمة الإبانة للمتولى، والبسيط والوسيط والوجيز والخلاصة للغزالى، وشرح الوسيط لشيخنا ابن الرافعة، وإشكالات الوسيط والوجيز للعجيلى، وحواشى الوسيط لابن السكرى، وإشكالات الوسيط لابن الصلاح، والشرح الكبير للرافعى، والشرح الصغير له، والتهذيب له، والروضة للنووى، ومختصر المختصر للجوينى، وشرحه المسمى بالمعتبر، والمحزر، والمنهاج، وتذكرة العالم لأبى على ابن سريج، واللباب للشيشى.

طبقات العراقيين:

ذاك ما كان من أمر الخراسانيين، أما طبقات طريقة العراقيين، فأولها كان من طبقة أصحاب الشافعي، منهم: أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي الذي تفقه على الإمام مباشرة، ومنهم أحمد ابن حنبل الإمام المشهور، ومنهم أبو جعفر الخلال أحمد بن خالد البغدادي، ومنهم أبو جعفر النهشلي ثم البغدادي، ومنهم أبو عبد الله الصيرفي، ومنهم أبو عبد الرحمن أحمد بن يحيى بن عبد العزيز البغدادي، ومنهم الحادث بن سريج النقال وهو الذي نقل كتاب الشافعي «الرسالة» إلى عبد الرحمن بن مهدي ومات ٢٣٦هـ، ومنهم الحسن بن عبد العزيز المصري نزيل بغداد، ومنهم الكرايسى الحسين ابن علي البغدادي الذي مات في ٢٤٨هـ.

والطبقة الثانية من العراقيين كان على رأسهم: أبو القاسم الأنماطي، وأبو بكر النيسابوري، وأبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذي، والقاضي أبو عبيد علي بن الحسين بن حربويه البغدادي، وأبو إسحاق الحربي، وأبو الحسن المنذري.

والطبقة الثالثة على رأسهم: ابن سريج وهو شيخ الأصحاب، وسالك سبيل الإنصاف، وصاحب الأصول والفروع، وناقض قوانين المعارضين على الشافعي: أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج القاضي البغدادي شيخ الشافعية في عصره، ومنهم أبو سعيد الأصبخري، وأبو علي بن خيران، وأبو حفص المعروف بابن الوكيل: عمر بن عبد الله البغدادي.

والطبقة الرابعة: وهم تلامذة الثالثة: على رأسهم أبو إسحاق المروزي، ومنهم أبو علي بن أبي هريرة، وأبو الطيب محمد بن فضل بن مسلمة البغدادي، وأبو بكر الصيرفي البغدادي، وأبو العباس بن

القاضي، وأبو جعفر الاسترأبادي، وأبو بكر أحمد بن الحسين بن سهل الفارسي صاحب «عيون المسائل في نصوص الشافعي» ومات ٣٥٠هـ ومنهم أيضاً أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد القطان المتوفى ٣٥٩هـ.

ثم جاءت الطبقة الخامسة، وعلى رأسهم: الداركي وهو: أبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله البغدادي شيخ العراق، ومنهم أبو علي الطبري، ومنهم أبو الحسن بن المرزبان.

ثم جاءت الطبقة السادسة من بعدهم، وهم تلامذة الطبقة الخامسة، وعلى رأسهم: أبو حامد الإسفراييني أحمد بن محمد بن أحمد البغدادي الذي توفي في ٤٠٦هـ، ومنهم أبو الحسن الماسرجسي، ومنهم أبو الفضل النسوي.

والطبقة السابعة ومنهم: أبو الحسن الماوردي صاحب كتاب الحاوي والقاضي أبو الطيب، وسليم بن أيوب الرازي، وأبو الحسن المحاملي والشاشي والبندنجي، والقاضي أبو سعيد الأبيوردي.

ثم جاءت الطبقة الثامنة، وهي من خواتم طريقة العراقيين: منهم القاضي أبو السائب عقبة بن عبد الله بن موسى الهمداني، وأبو الحسن المحاملي الكبير، وأبو سهل أحمد بن زياد، والفقيه البغدادي، وأبو بكر محمد بن عمر الزيادي البغدادي، وأبو محمد الجوزجاني، وأبو الطيب الصائد الخلال صاحب كتاب العراقيين.

كتب العراقيين:

أهم كتب كانت لطريقة العراقيين، يقول فيها الإمام النووي: واعلم أن مدار كتب أصحابنا العراقيين أو جماهيرهم مع جماعات من الخراسانيين، على تعليق الشيخ أبي حامد الإسفراييني وهو في نحو

خمسين مجلداً، جمع فيه من النفائس ما لم يشارك في مجموعة من كثرة المسائل والفروع، وذكر مذاهب العلماء وبسط أدلتها والجواب عنها. قال: اعلم أن نسخ تعليق الشيخ أبي حامد تختلف في بعض المسائل، وقد نبهت على كثير من ذلك في شرح تهذيب المهذب.

ومن كتبهم أيضاً يقول الإمام السبكي: تعليقة الشيخ أبي حامد الإسفراييني، والذخيرة للبندنجي، والدريق للشيخ أبي حامد، وتعليقة البندنجي أيضاً، والمجموع والأوسط للمحاملي، والمقنع واللباب والتجريد للمحاملي، وتعليقة القاضي أبي الطيب الطبري، والحاوي، والإقناع للماوردي، واللطف لأبي الحسين بن خيران، والتقريب والمجرد لسليم، والكفاية لسليم، والكفاية للعبدي، والتهذيب لنصر المقدسي، والكافي وشرح الإشارة له، والكفاية للمحاجري، والتلقين لابن سراقه، وتذويب الأقسام للمرعشي، والكافي للزبيدي، والمطارحات لابن اللقان، والشافى للجرجاني، والتجريد له، والمعاية له، والبيان للعمراني، والانتصار لابن عسرون والمرشد له، والتنبيه والإشارة له، والشامل لأبي نصر بن الصباغ والعدة لأبي عبد الله الحسين بن علي الطبري.

فقه الطريقتين والجمع بينهما:

يقول الإمام النووي في فقه الطريقتين: اعلم أن نقل أصحابنا العراقيين لنصوص الشافعي وقواعد مذهبه ووجوه متقدمي أصحابنا أتقن وأثبت من نقل الخراسانيين غالباً والخراسانيون أحسن تصرفاً وبحثاً وتفريعاً وترتيباً.

يقول تاج الدين السبكي في ترجمة الإمام أبي علي الحسين بن شعيب بن محمد السنجي: أول من جمع بين الطريقتين.

وقال أيضاً عن الفوراني: إنه ذكر في خطبة الإبانة أنه بين الأصح من الأقوال والوجوه، قال التاج السبكي: وهو من أقدم المبتدئين لهذا الأمر.

ثم قام إمام الحرمين بجمع طرق المذهب ووجوه الأصحاب المتقدمين في عمله العظيم نهاية المطلب في علم المذهب، وقام بالترجيح فيما اختلف فيه الأصحاب، في ضوء قواعد المذهب، وسار تلميذه الغزالي من بعده على نهجه وأكمل ما بدأه وهذبه، وفتح المجال لتهديب المذهب وتنقيحه، ذلك الغرض الذي خدم وختم بجهود الإمامين الرافعي والنووي، ولهذا استحقا لقب الشيخين.

أعلام الشافعية:

صنف الإمام النووي كتابه المشهور تهذيب الأسماء واللغات، جمع فيه ما وقع من ذلك في مختصر المزني، والمهذب، والتنبيه، والوسيط، والوجيز، والروضة، وقال رحمه الله: «وخصصت هذه الكتب بالتصنيف لأن الخمسة الأولى منها مشهورة بين أصحابنا يتداولونها أكثر تداول، وهي سائرة في كل الأمصار، مشهورة للخواص والمبتدئين في كل الأقطار...» كما تشتمل طبقات ابن هداية الله الحسيني على مهمات أعلام الأصحاب.

وسنذكر منها ما تمس إليه الحاجة على سبيل الاختصار فمن ذلك:

أبو أمية الطرطوسي: محمد بن إبراهيم، ت ٢٧٣هـ.

أبو إسحاق: حيث أطلق المذهب فهو المروزي.

أبو إسحاق الإسفراييني: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، ت ٤١٨هـ.

أبو إسحاق الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله الشيرازي، ت ٤٧٢هـ.

أبو إسحاق المروزي: إبراهيم بن أحمد المروزي، شيخ المذهب، وإليه تنتهي طريقة الخراسانيين والعراقيين، ت ٣٤٠هـ.

أبو الحسن الماوردي: علي بن محمد بن حبيب، صاحب الحاوي (مطبوع) وغيره، ت ٤٥٠هـ.

أبو الحسن الماسرجسي: محمد بن علي بن سهل بن مفلح، ت ٣٨٤هـ.

أبو الحسين بن القطان: أحمد بن محمد بن أحمد بن القطان البغدادي، ت ٣٥٩هـ.

أبو الربيع الإيلاقي: طاهر بن محمد بن عبد الله، ت ٤٦٥هـ.

أبو الطيب الصعلوكي: سهل بن محمد بن سليمان العجلي، ت ٣٨٧هـ.

أبو الطيب الطبري: القاضي طاهر بن عبد الله بن طاهر، ت ٤٥٠هـ.

أبو العباس بن سريج: أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، إمام الأصحاب، تفقه أبي القاسم الأنماطي، وتفقه الأنماطي على المزني، توفي ابن سريج سنة ٣٠٦هـ، وعدّ مجدد قرنه.

أبو العباس بن القاص: أحمد بن أبي أحمد القاص الطبري، صاحب التلخيص، ت ٣٣٥هـ.

أبو القاسم الداركي: عبد العزيز بن عبد الله، ت ٣٧٥هـ.

أبو الوليد النيسابوري: حسان بن محمد بن أحمد بن هارون، ت

٣٤٩هـ.

أبو بكر الإسماعيلي: أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني، ت ٣٧١هـ.

أبو بكر الصبغى: أحمد بن إسحاق، ت ٣٤٢هـ.

أبو بكر الصيرفى: محمد بن عبد الله، ت ٣٣٠هـ.

أبو بكر النيسابورى: عبد الله بن محمد بن زياد، ت ٣٢٤هـ.

أبو بكر بن الحداد: محمد بن أحمد القاضى المصرى صاحب كتاب الفروع، من مشهورات كتب المذهب، ت ٣٤٥هـ.

أبو بكر بن المنذر: محمد بن إبراهيم بن المنذر، صاحب التصانيف، ت ٣٠٩هـ.

أبو بكر بن لال: أحمد بن على بن أحمد، ت ٣٧٨هـ.

أبو ثور: إبراهيم بن خالد الكلبي، ت ٢٤٠هـ.

أبو حامد الإسفرايينى: أحمد بن محمد بن أحمد، شيخ طريقة العراق، ت ٤٠٦هـ.

أبو حامد المروذى: أحمد بن بشر بن عامر القاضى، ت ٣٦٢هـ.

أبو زيد المروزى: محمد بن أحمد بن عبد الله، ت ٣٧١هـ.

أبو سعد المتولى: عبد الرحمن بن مأمون، صاحب تنمة الإبانة، ت ٤٧٨هـ.

أبو سعيد الأصبخري: الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى، ت ٣٢٨هـ.

أبو سهل الصعلوكى: محمد بن سليمان بن محمد العجلي، ت

أبو طاهر الزیادی: محمد بن محمد بن محمش بن علی، ت بعد ٤٠٠هـ.

أبو عبد الله الزیری: الزیر بن أحمد بن سليمان، من نسل الزیر ابن العوام - رضى الله عنه - توفى الزیری قبل ٣٢٠هـ،

أبو علی الثقفی: محمد بن عبد الوهاب النیسابوری، ت ٣٢٨هـ.

أبو علی السنجی: الحسین بن شعيب، أخذ علی القفال والشیخ أبی حامد شیخاً الطریقتین، وجمع بینهما فی تصانیفه.

أبو علی الطبری: الحسن بن القاسم، ت ٣٥٠هـ.

أبو علی بن أبی هريرة: القاضی الحسن بن الحسین البغدادی، ت ٣٤٥هـ.

الأبیوردی: أبو منصور علی بن الحسین، ت ٤٨٧هـ، وأبو سهل أحمد بن علی ت ٤٨٣هـ.

الأذرعی: شهاب الدین أحمد بن عبد الله الأذرعی، صاحب «جمع التوسط والفتح بین الروضة والشرح» وغنية المحتاج شرح المنهاج الفروعی، وقوت المحتاج شرح المنهاج الفروعی أيضاً أكبر من الأول، وهو المراد بالقوت عند الإطلاق، ت ٧٠٨هـ.

الأنماطی: عثمان بن سعید بن بشار، ت ٣٨٥هـ.

الأودنی: أبو بكر محمد بن عبد الله الأودنی، ت ٣٨٥هـ.

الإسنوی: جمال الدین عبد الرحیم بن الحسن، صاحب التمهید، والمهمات وشرح المنهاج الأصولی، وغيره، ت ٧٧٢هـ.

إمام الحرمین: ضیاء الدین أبو المعالی عبد الملك بن الشیخ أبی محمد الجوینی، صاحب التصانیف، وإمام الأصحاب، والإمام عند

الإطلاق في كتب الفروع، ت ٤٧٨هـ.

ابن أبي عصرون: أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله الموصلي،
ت ٥٨٥هـ.

ابن أبي هريرة: القاضي الحسن بن الحسين البغدادي، ت ٣٤٥هـ.
ابن الرفعة: أبو يحيى نجم الدين أحمد بن محمد بن علي الأنصاري،
صاحب الكفاية شرح التنبيه، والمطلب شرح الوسيط، وغيرها، وهو
شيخ السبكي، ت ٧٣٥هـ.

ابن السبكي: جمال الدين، وتاج الدين، وبهاء الدين.
ابن الصباغ: أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد صاحب
الشامل، ت ٤٧٧هـ.

ابن الصلاح: تقى الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن
الكردي، صاحب التصانيف كالمقدمة في المصطلح والفتاوى وشرح
مسلم وغيرها، ت ٦٤٣هـ.

ابن المنذر: محمد بن إبراهيم بن المنذر، ت ٣٠٩هـ.
ابن بنت الشافعي: أحمد بن محمد عبد الله المطلبى الشافعي نسباً
ومذهباً، أبوه ابن عم الشافعي، وأمه زينب بنت الإمام الشافعي
رحمه الله - من كبار أئمة الأصحاب المتقدمين، لم يكن في آل شافع
بعد الإمام الشافعي أجل منه.

ابن برهان: أبو الفتح أحمد بن علي بن برهان، ت ٥١٨هـ.
ابن خزيمة: محمد بن إسحاق، شمس الأئمة، صاحب الصحيح ت
٣١١هـ (وسياتي مزيد بيان في الحنفية عمن يعرف بابن خزيمة).
ابن خيران: علي بن الحسين بن صالح بن خيران البغدادي، ت

٣١٠هـ تقريباً.

- ابن سريج: أبو العباس بن سريج، تقدم.
- ابن كج: القاضي يوسف بن أحمد الدينوري، ت ٤٠٥هـ.
- ابن مرزبان: أبو الحسن علي بن أحمد البغدادي، ت ٣٦٦هـ.
- الاستراباذي: أحمد بن محمد أبو جعفر الاستراباذي.
- البغوي: يحيى السنة الحسين بن مسعود البغوي، صاحب التهذيب، شرح السنة، وغيره، ت ٥١٠هـ.
- البندنجي: القاضي أبو علي الحسن بن عبد الله، صاحب الجامع والذخيرة ت ٤٢٥هـ.
- بهاء الدين بن السبكي: أبو حامد أحمد بن علي، شارح التلخيص البلاغي، وغيره، ت ٧٧٣هـ.
- البوشنجي: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي، ت ٢٩٠هـ، وأبو سعيد إسماعيل بن أبي القاسم عبد الواحد بن إسماعيل، ت ٥٣٠هـ.
- البويطي: أبو يعقوب يوسف بن يحيى القرشي، ت ٢٣١هـ.
- البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين، صاحب التصانيف، ت ٤٥٨هـ.
- تاج الدين بن السبكي: شيخ الإسلام عبد الوهاب بن علي، ت ٧٧١هـ.
- الجرجاني: جماعة منهم: أبو أحمد محمد بن أحمد، ت ٣٧٣هـ.
- وأبو العباس الجرجاني أحمد بن محمد القاضي صاحب كتاب

المعاينة (مطبوع) والتحرير والبلغة، ت ٤٨٢ هـ.

جمال الدين بن السبكي: الحسين بن علي، نبغ وتفقه، وتولى التدريس بعدة مدارس، وتوفى في حياة والده، سنة ٧٥٥ هـ.

الجويني: أبو محمد عبد الله بن يوسف والد إمام الحرمين، ت ٤٣٨ هـ.

حرملة: أبو عبد الله حرملة بن يحيى بن عبد الله المصري التجيبي، صاحب الإمام الشافعي، وأحد رواة كتبه، ٢٤٣ هـ.

الخليمي: أبو عبد الله الحسن بن الحسين، صاحب المنهاج في شعب الإيمان، ت ٤٠٦ هـ.

الحميدي: عبد الله بن الزبير، ت ٢١٩ هـ.

الخضري: محمد بن أحمد المروزي.

الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن الخطيب البغدادي، صاحب التصانيف، ت ٤٦٣ هـ.

الدارمي: أبو الفرج محمد بن عبد الواحد البغدادي، ت ٤٤٩ هـ.

الرازي: فخر الدين عمر بن الحسين، الإمام على الإطلاق في كتب الأصول، ت ٦٠٦ هـ.

الرافعي: أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القزويني، محرر المذهب، ت ٦٢٣ هـ.

الربيع الجيزي: الربيع بن سليمان الجيزي صاحب الإمام الشافعي رحمه الله له رواية قليلة عن الشافعي مذكورة في الكتب، ت ٢٥٦ هـ.

الربيع المرادى: الربيع بن سليمان المرادى، قال الشافعى له: أنت راوية كتبى، فكان كما قال، فهو أكثر أصحاب الشافعى رواية عنه، ت ٢٧٠هـ.

الرويانى: عبد الواحد بن إسماعيل أبو المحاسن فخر الإسلام الرويانى، صاحب البحر، ت ٥٠٢هـ، وابن أخته أبو المكارم الرويانى عبد الله بن على صاحب العدة. وابن عمه القاضى شريح بن عبد الكريم الرويانى، صاحب روضة الحكام، ت ٥٠٥هـ.

الزركشى: بدر الدين محمد بن بهادر، له شرح المنهاج الفروعى، وخادم الروضة، والبحر المحيط فى الأصول، وغير ذلك، ت ٧٩٤هـ.

الزعفرانى: أبو على الحسن بن محمد بن الصباح، صاحب الإمام الشافعى رحمه الله، أحد رواة القديم، ت ٢٦٠هـ.

السبكى: شيخ الإسلام تقى الدين على بن عبد الكافى، ت ٧٥٦هـ، وأبناء: كمال الدين، تاج الدين، بهاء الدين.

السرجسى: أبو الحسن محمد بن على، ت ٣٨٤هـ.

سليم الرازى: سليم بن أيوب أبو الفتح الرازى، ت ٥٤٧هـ.

السمعانى: أبو المظفر منصور بن محمد التميمى، صاحب القواطع فى أصول الفقه، أجل ما صنف فيه، ت ٤٨٩هـ.

الشاشى: فخر الإسلام محمد بن أحمد بن الحسين الشاشى، وهو المعروف بالمستظهر، صاحب حلية العلماء (مطبوع)، ت ٥٠٧هـ (وسياتى مزيد بيان عما ينسب إلى شاش فى الحنفية).

شرف الدين بن المقرئ: إسماعيل بن أبى بكر المقرئ، صاحب الإرشاد، والروض، وإخلاص الناوى شرح الحاوى الصغير وغيرها،

ت ٨٣٧هـ.

الشيخ أبو حامد: أحمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الإسفراييني،
شيخ طريقة العراق، ت ٤٠٦هـ.

صاحب الإبانة هو: الفوراني، يأتي.

صاحب الإرشاد: شرف الدين بن المقرئ.

صاحب البحر: هو الروياني المتقدم.

صاحب البيان: أبو الخير يحيى بن أبي الخير سالم العمراني، ت
٥٥٨هـ.

صاحب التتمة: أبو سعد المتولي، تقدم.

صاحب التعجيز: تاج الدين عبد الرحيم بن عبد الملك، ت
٦٦٩هـ.

صاحب التقريب: أبو الحسن القاسم بن القفال الشاشي الكبير.

صاحب التلخيص: أبو العباس بن القاص، تقدم.

صاحب التهذيب: محي السنة الحسين بن مسعود البغوي، صاحب
شرح السنة وغيره، ت ٥١٠هـ.

صاحب التوشيح: تاج الدين بن السبكي.

صاحب الجرجانيات: أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الروياني،
الجد الأعلى للروياني صاحب البحر، ت ٤٥٠هـ.

صاحب الحاوي: هو أبو الحسن الماوردي.

صاحب الذخائر: بهاء الدين أبو العلي المجلي بن نجا المخزومي
الأسيوطي المصري، الشهير بالقاضي مجلي، ت ٥٤٩هـ.

صاحب الروض: شرف الدين بن المقرئ، تقدم.

صاحب الشامل: ابن الصباغ، تقدم.

صاحب العدة: اثنان أبو المكارم الرويانى عبد الله بن على، وأبو عبد الله الحسين بن على بن الحسين، قال ابن هداية الله الحسينى: «العدتان كتابان جليلان، وقف النووى على العدة لأبى عبد الله دون العدة لأبى المكارم، والرافعى بالعكس، لكن علم بعدة أبى عبد الله، وبلغه منها النقل، فحيث أطلق النووى فى زيادات العدة فمراده: عدة أبى عبد الله، وحيث أطلق الرافعى فى الشرحين العدة فمراده عدة أبى المكارم، ما يرويه عن عدة أبى عبد الله يضيفها إلى صاحبها فيقول عن الحسين الطبرى فى عدته».

صاحب الفروع: أبو بكر بن الحداد: محمد بن أحمد القاضى المصرى، من مشهورات كتب المذهب، ت ٣٤٥هـ.

صاحب المذهب الكبير: أبو على السنجى تقدم، والمذهب الكبير شرح على مختصر المزنى، سماه بذلك إمام الحرمين.

صاحب جمع الجوامع: أبو سهل أحمد بن محمد الدورى، المعروف بابن عفريس، ت ٣٦٢هـ.

الصيدلانى: أبو بكر محمد بن داود المروزى، ت ٤٢٧هـ تقريباً.

العبادى: أبو عاصم محمد بن أحمد بن محمد الهروى، له المبسوط، والهادى والزيادات، وزيادات الزيادات، وطبقات الفقهاء المشهورة، ت ٤٥٨هـ. وابنه أبو الحسن العبادى أحمد ابن أبى عاصم، صاحب الرقم، ت ٤٩٥هـ. ولنا عبادى آخر، وهو: ابن قاسم العبادى متأخر عنهما بقرون، يأتى فى النحت الخطى عند الشافعية.

العز بن عبد السلام: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام

الدمشقي السلمي، شيخ الإسلام، ت ٦٦٠هـ.
الغزالي: حجة الإسلام محمد بن محمد، صاحب التصانيف، ت ٥٠٥هـ.

الفارقي: أبو علي الحسن بن إبراهيم الفارقي، ت ٥٢٨هـ.
الفوراني: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد، صاحب الإبانة، والعمدة، ت ٤٦١هـ.

القاضي: في كتب متأخري الخراسانيين كالنهاية والتممة والتهذيب وكتب الغزالي ونحوها فالمراد القاضي الحسين، ومتى أطلق القاضي في كتب متوسطي العراقيين فالمراد القاضي أبو حامد المروزي، ومتى أطلق في كتب الأصول لأصحابنا فالمراد القاضي أبو بكر الباقلاني الإمام المالكي في الفروع، ومتى أطلق في كتب المعتزلة أو كتب أصحابنا الأصوليين حكاية عن المعتزلة. فالمراد به القاضي الجبائي.

القاضي أبو حامد: أحمد بن بشر بن عامر القاضي، أبو حامد المروزي، ت ٣٦٢هـ.

القاضي حسين: الحسين بن محمد أبو علي المروزي، ت ٤٦٢هـ.
القاضي مجلي: صاحب الذخائر بهاء الدين أبو العلي المجلي بن نجا المخزومي الأسيوطي المصري، ت ٥٤٩هـ.

القفال الشاشي - القفال الكبير: أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل، وهو المراد عند إطلاق القفال في كتب الأصول والتفسير والحديث والجدل، ت ٣٣٦هـ.

القفال المروزي - القفال الصغير: عبد الله بن أحمد القفال

المروزي، شيخ طريقة خراسان، ت ٤١٧هـ.

الكرائيسي: الحسين بن علي بن يزيد، صاحب الإمام الشافعي رحمه الله، ت ٢٤٨هـ.

الكرخي: أبو القاسم منصور بن عمرو، ت ٤٤٧هـ.

الكياءهراسي: أبو الحسن عماد الدين علي بن محمد الطبري، ت ٥٠٤هـ.

الماسرجسي: أبو الحسن محمد بن سهل.

المحامل: أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد الضبي، صاحب تحرير الأدلة والمقنع، واللباب، والمجموع، والمجرد، ورؤوس المسائل، ت ٤١٥هـ.

المحمودي: أبو بكر محمد بن محمود المروزي.

المروزي: محمد بن نصر، صاحب التصانيف، ت ٢٩٤هـ.

المزني: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى، صاحب الإمام الشافعي رحمه الله، مؤلف المختصر المشهور، ت ٢٦٤هـ.

المسعودي: محمد بن عبد الملك بن مسعود، توفي سنة نيف وعشرين وأربعمائة.

نصر المقدسي: أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، ت ٤٩٠هـ.

النووي: يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، شيخ المذهب، صاحب المنهاج والروضة، وشرح المذهب، والتحقيق، وشرح مسلم، وتهذيب اللغات وغيرها، ت ٦٧٦هـ.

الهروي: القاضي أبو سعد محمد بن أحمد بن أبي يوسف، صاحب

الإشراف، ت ٤٨٨ هـ.

ولى الدين العراقى: أحمد بن عبد الرحيم، ابن الحافظ العراقى الشهير، له تحرير الفتاوى، وله تحرير اللباب، اختصر فيه اللباب للمحاملى، ت ٨٢٦ هـ.

وسياتى فى مبحث النحت عند الشافعية طائفة من أعلام المتأخرين من الشراح وأصحاب الحواشى.

الكتب المعتمدة فى مذهب الشافعية:

ذكرنا فيما سبق طائفة من كتب أصحابنا الخراسانيين والعراقيين إلا أن هذه الكتب وغيرها قد لاقت تحقيقاً واسعاً عند الإمام النووى والرافعى إلى أن قال الإمام بن حجر الهيثمى وغيره من المتأخرين: قد أجمع المحققون على أن الكتب المتقدمة على الشيخين - يعنى الرافعى والنووى - لا يعتد بشئ منها إلا بعد كمال البحث والتحري، حتى يغلب على الظن أنه راجع مذهب الشافعى.

قالوا هذا فى حكم لم يتعرض له الشيخان أو أحدهما، فإن تعرضا له فالذى أطبق عليه المحققون أن المعتمد فى المذهب ما اتفقا عليه، فإن اختلفا ولم يوجد لهما مرجح، أو وجد ولكن على السواء. فالمعتمد ما قاله النووى، وإن وجد لأحدهما دون الآخر فالمعتمد ذو الترجيح، فإن اتفق المتأخرون على أن ما قالاه سهو، فلا يكون حينئذ معتمداً لكنه نادر جداً.

ثم بعد ذلك جاء ابن حجر والرملى وشرحا المنهاج، وألفا فى المذهب كثيراً بطريقة محررة، ويقول متأخرو الشافعية: إن المعتمد من بعدهما - الرافعى - والنووى - ابن حجر الهيثمى، ومحمد الرملى، فلا تجوز الفتوى بما يخالفهما، أى بما يخالف تحفة المحتاج لابن حجر،

ونهاية المحتاج للرمل؛ ذلك أن المحققين والعلماء قد قرأوهما على مصنفيهما حتى إن النهاية قرئت على الرمل إلى آخرها في أربعمائة من العلماء فنقدوها وصححوها؛ فبلغت بذلك حد التواتر. أما التحفة فلا يحصون كثرة.

فإن اختلفا فأخذ علماء مصر بما قاله الرمل، وأخذ علماء حضرموت والشام والأكراد وأكثر اليمن والحجاز بما قاله ابن حجر، وقد ألف في اختلافهما كتب منها:

إحمد العينين في بعض اختلاف الشيخين «للشيخ على باصبرين».

أما ما لم يتعرض له، فيفتى بكلام شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وله عدة مصنفات فقهية مطبوعة أهمها: المنهج مختصر منهاج النووي، وشرحه له أيضاً، وشرح الروض، وشرح البهجة، وتحرير تنقيح اللباب وشرحه.

ثم يؤخذ بكلام الشيخ الخطيب الشربيني، وله مغنى المحتاج شرح المنهاج، والإقناع شرح متن أبي شعجاع، وهما مشهوران مطبوعان.

ثم بكلام حاشية الزيادي، ثم بكلام حاشية ابن قاسم العبادي على تحفه ابن حجر، وهو مطبوع معها، ثم بكلام الشيخ عميرة في حاشيته المشهورة على شرح المحلى على المنهاج وهي مطبوعة أيضاً، ثم بكلام الشيخ على الشبراملسي على نهاية الرمل وهي مطبوعة معها، ثم بكلام حاشية الحلبي، ثم بكلام حاشية الشوبري، ثم بكلام حاشية العناني، وذلك ما لم يخالفوا أصل المذهب، هذا ما قرره المتأخرون من علماء المذهب وساروا عليه بالفعل في كتبهم وحواشيهم وتقاريرهم إلى عصرنا هذا.

تسلسل كتب المذهب: أ - وبعد ما ألف الإمام الجويني «النهاية»

- نهاية المطلب - دارت كتب المذهب عليه. والنهية هو اختصار لكتب الإمام الشافعي الأربعة التي ألفها في الفقه، وهي: الأم، والإملاء، والبويطي، ومختصر المزني، أو أنه شرح لمختصر المزني - كما قال بعضهم، وجمع فيه طرق المذهب وأوجه الأصحاب.

ثم اختصر الغزالي النهاية إلى البسيط، ثم اختصر البسيط إلى الوسيط، وهو إلى الوجيز، ثم اختصره إلى الخلاصة. وفي البيجرمي على شرح المنهج وغيره أن الرافعي اختصر من الوجيز «المحرر». ثم اختصر الإمام النووي المحرر إلى «المنهاج» ثم اختصر شيخ الإسلام زكريا المنهاج إلى «المنهج» ثم اختصر الجوهرى المنهج إلى «النهج».

ب - وشرح الرافعي الوجيز بشرحين، صغير لم يسمه، وكبير سماه العزيز، فاختصر الإمام النووي العزيز إلى الروضة، واختصر ابن مقرئ الروضة إلى «الروض» فشرحه شيخ الإسلام زكريا شرحاً سماه «الأسنى» واختصر ابن حجر الروض إلى «النعيم» جاء نفسياً في باب غير أنه فقد في حياته. واختصر الروضة أيضاً الإمام المزجد في «العباب» فشرحه ابن حجر شرحاً جمع فيه فأوعى في «الإيعاب» غير أنه لم يكمل واختصر «الروضة» أيضاً السيوطي مختصراً سماه «الغنية» ونظمها أيضاً نظماً سماه «الخلاصة» لكنه لم يتم كما ذكره في فهرست مؤلفاته.

ج - وكذلك اختصر القزويني «العزيز شرح الوجيز» إلى «الحاوي الصغير»، فنظمه ابن الوردي في «بهجته» فشرحها شيخ الإسلام بشرحين. قال ابن حجر - رحمه الله - في أثناء كلامه من ذيل تحرير المقال: وقولهم إنه منذ صنف الإمام كتاب النهاية، الذي شرح لمختصر المزني، الذي رواه من كلام الشافعي - رضى الله عنه - وهو في ثمانية أسفار حاوية، لم يشتغل الناس إلا بكلام الإمام؛ لأن

تلميذه الغزالي اختصر «النهاية» المذكورة في مختصر مطول حافل وسماه «السيط» واختصره في أقل منه، سماه «الوسيط» واختصره في أقل منه وسماه «الوجيز» فجاء الرافعي وشرح الوجيز شرحاً مختصراً، ثم شرحاً مبسوطاً ما صنف في مذهب الشافعي مثله، وأسفاره نحو العشرة غالباً، ثم جاء النووي واختصر هذا الشرح، ونقحه، وحرره، واستدرك على كثير من كلامه، مما وجدته محلاً للاستدراك، وسمى هذا المختصر «روضة الطالبين» وأسفاره نحو أربعمائة غالباً، ثم جاء المتأخرون بعده فاختلفت أغراضهم، فمنهم المحشون، وهم كثيرون أطلوا النفس في ذلك حتى بلغت حاشية الأذرعى التى سماها «التوسط بين الروضة والشرح» إلى فوق الثلاثين سفراً، وكذلك الإسنوى حشى، وابن العماد والبلقيني كذلك، هؤلاء هم فحول المتأخرين، ثم جاء هؤلاء الأربعة الإمام الزركشى فجمع ملخص حواشيه في كتابه المشهور، وسماه «خادم الروضة»، وهو في نحو العشرين سفراً. ووقع لجماعة أنهم اختصروا الروضة، ومنهم المطول، ومنهم المختصر «كالروض» للشرف المquiry (ت ٨٣٧هـ) فأقبل الناس على تلك المختصرات، فلما ظهر الروض رجع أكثر الناس إليه لمزيد اختصاره، وتحرير عبارته، ثم جاء شيخ الإسلام فشرحه حسناً جداً، وأثر فيه الاختصار فانتال الناس عليه، إلى أن جاء صاحب العباب أحمد بن عمر المزجد الزبيدي فاختصر الروضة، وضم إليها من فروع المذهب ما لا يحصى. وكذلك اختصر صاحب الحاوى الصغير، والشرح الكبير اختصاراً لم يسبق إليه، فإنه جمع حاصل المقصود منه في ورقات نحو ثمن جزء من أجزائه العشرة فأذعن له أهل عصره: أنه في بابه ما صنف مثله، فأكب الناس عليه حفظاً وشروحاً. ثم نظمه صاحب البهجة، فأكبوا عليها حفظاً وشروحاً كذلك. إلى أن جاء الشرف المquiry فاختصره في أقل منه

بكثير، وسماه «الإرشاد» (مطبوع) فأكب الناس عليه حفظاً وشروحاً. قال مقبده عفا الله عنه: ومن شرحه ابن حجر الهيتمي فشرحه بشرحين. كبير ولم يطبع، وصغير سماه فتح الجواد شرح الإرشاد (مطبوع)، ومعه حاشية عليه لابن حجر أيضاً.

د - : وألف المحاملى (ت ٤١٥هـ) اللباب، وهو من كتب العراقيين المعتبرة، فاختصر الولي العراقي (ت ٨٢٦هـ) فى تحرير اللباب، فاختصره شيخ الإسلام زكريا الأنصارى (ت ٩٢٦هـ) فى تنقيح تحرير اللباب (مطبوع) ثم شرحه فى تحفة الطلاب (مطبوع)، فحشى عليه الشيخ الشرقاوى (ت ١٢٢٦هـ) بحاشية مشهورة (مطبوعة).



قائمة المصادر

لمزيد من المعلومات عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى راجع الكتب المؤلفة عنه، ومنها:

١ - آداب الشافعي ومناقبه للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم، تحقيق الشيخ عبد الغني عبد الخالق، مصورة دار الكتب العلمية بيروت، على الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣م، د. ن.

٢ - رحلة الشافعي، رواية تلميذه الربيع بن سليمان الجيزي، ط السلفية، ١٣٥٠هـ.

٣ - مناقب الشافعي، للبيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، ط ١، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، دار التراث.

٤ - مناقب الشافعي، للإمام فخر الدين الرازي، ط المكتبة العلمية، ١٢٧٩هـ.

٥ - مناقب الشافعي، للحافظ بن كثير، تحقيق خليل إبراهيم ملا خاطر، ط مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٦ - توالي التأسيس بمعالى ابن إدريس، للإمام ابن حجر العسقلاني، ط الأميرية ببولاق، الأولى، ١٣٠١هـ.

٧ - الشافعي، حياته وعصره - آراؤه وفقهه، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م.

٨ - الإمام الشافعي ناصر السنة وواضع الأصول، لعبد الحليم

الجندي، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

٩ - الإمام الشافعي في مذهبيه القديم والجديد، للدكتور أحمد نحرأوى عبد السلام الإندونيسى، نشر المؤلف، ط مكتبة الشباب، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

كما أن للإمام الشافعي رحمه الله تعالى تراجم موسعة في كتاب التاريخ المشهورة راجع على سبيل المثال:

١٠ - الأنساب للسمعاني ٧٠ / ٢٥٦:٢٥١، تحقيق الأستاذ محمد عوامة، نشر محمد أمين دمج، بيروت، ط ١، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

١١ - البداية والنهاية، لابن كثير، ١٠ / ٢٥٤:٢٥١، مكتبة المعارف، بيروت، ومكتبة النصر بالرياض، ط ١، ١٩٦٦م.

١٢ - التاريخ الكبير، للبخارى، ١ / ١ / ٤٢، ط الهند.

١٣ - تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٢ / ٥٧:٧٣، مصورة دار الكتاب العربي، بيروت، د ت.

١٤ - تذكرة الحفاظ، للذهبي، ١ / ٣٦١:٣٦٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥ - تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ١ / ٤٤:٦٧، مطبعة المنيرية، د ت.

١٦ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزى، ٤٤ / ٣٥٥:٣٨١، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

١٧ - حسن المحاضرة، للسيوطي، تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل، ١ / ٣٠٣:٣٠٤، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي، ط ١، ٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

١٨ - حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، ٩ / ٦٣: ١٦١، مطبعة

السعادة، دت.

١٩ - سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق محمد نعيم العرقسوسى، ١٠/٩٩:٥، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢٠ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلى، ١١:٩/٢، المكتب التجارى للطباعة والنشر، بيروت.

٢١ - طبقات الشافعية، للإسنوى، تحقيق عبد الله الجبورى، ١١/١، وما بعدها، ط الأوقاف، بغداد، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٢٢ - طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين ابن السبكي، ١/١٨٦:١، ط الخانجي.

٢٣ - طبقات المفسرين، للدوادى، ٢/٩٨:١٠٠، تحقيق على محمد عمر، مكتبة وهبة، ط ١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٢٤ - طبقات النحاة واللغويين، لابن قاضى شهبة، ص ٦٢:٦٨، تحقيق محسن عياض، مطبعة النعمان، بغداد، ١٩٧٤م.

٢٥ - الفتح المبين فى طبقات الأصوليين، للمراغى، ١/١٣٣:١٤٢، ط عبد الحميد حنفى، دت.

٢٦ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لليافعى، ٢/١٣:٢٨، ط الهند ١٣٣٨هـ، مصورة منشورات مؤسسة الأعلمى، بيروت، ط ٢، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٢٧ - معجم الأدباء، لياقوت الحموى، ١٧/٢٨١:٣٢٧، مطبعة دار المأمون، بيروت.

٢٨ - النجوم الزاهرة، لابن تغرى بردى، ٢/١٧٦:١٧٧، ط ١، دار الكتب المصرية ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م.

٢٩ - الوافى بالوفيات، للصفدى، ٢/١٧١:١٨١، ط ٢، دار

- النشر شتاينر بفيسبادن ألمانيا، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
 ٣٠ - وفيات الأعيان، لابن خلكان، ٤/ ١٦٣: ١٦٩، تحقيق
 إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م.

* * *

محتويات الكتاب

٥	تمهيد.....
٥	الإمام الشافعي ومدرسته الفقهية.....
٦	الباب الأول.....
٦	الإمام الشافعي.....
٥٩	الباب الثاني.....
٥٩	طريقة العراقيين.....
٥٩	وطريقة الخراسانيين.....
٨٥	قائمة المصادر.....

هذا الكتاب

هذه كلمات كاشفة تترجم للإمام الشافعى وتُعرِّف بمدرسته الفقهية، وكيف وصلت إلينا، كما تلقى الضوء على مجتهد من المجتهدين العظام، الذين كان لهم أكبر الأثر فى مسيرة الفقه الإسلامى بعامة، والفكر القانونى بخاصة، حتى أصبح الإمام الشافعى ومدرسته علامة فارقة فى تاريخ الفكر وتاريخ العمل معاً، كان رضي الله عنه آية من آيات الله فى كونه، وليس على الله بمستغرب أن يجمع العالم فى واحد، فرضى الله عن الإمام وجعله نبزاساً يحتذى، وإماماً يقتدى به ومثالاً صالحاً لطلبة العلم فى سعيهم لتحصيله لنفع الناس وإقامة وتوضيح الحجة، وعسى الله أن ينفع بهذه الورقات كثيراً من خلقه. ولقد قسم الكتاب إلى بابين:

الأول: فى ترجمة الإمام.

والثانى: فى مدرسته كما سنرى.

والله ولى التوفيق

الناشر

